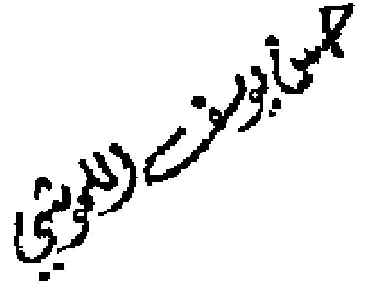
شيخ القصر

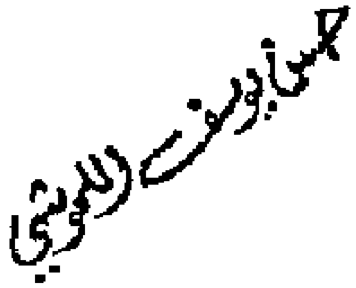
مسرحية



أيوب عمرو قاسم

مجلس الثقافة العام





إصدارات

مجلس الثقافة العام

الإشراف العام

أ . د . سليمان صالح الغويل

لجنة الإعداد والإشراف

ناصر الدعيسي

علي الفلاح

هليل البيجو

جابر نور سلطان

محمد عبدالله الترهوني

سالم أحمد الأوجلي

شـــيخ القـــصـــــر

مسرحية

تـألـيـــف

أيوب عمـرو قاسم

الـنـاشـر

مجلـس الثـقـافـة الـعـام

اســـم الكـتـاب   شيخ القصر (مسرحية)

اســـم المؤلـف   أيوب عمرو قاسم

سنــة النــشــر   2010 م

رقـــم الإيــــداع   75 / 2008 م

الـترقيم الــدولي   3 - 806 - 38 - 9959 - 978

تـصميم الغــلاف   علي العباني

لوحـــة الغـــلاف   طارق الهوني

التنفـيذ الفنــي   دار قبــاء الحديثــة - القاهرة

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات - سرت

هاتف 002185468622 - بريد مصور 002185473161

فـرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 - بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فــرع بنغــازي - الفويهات الغربية - الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 - 00218612241578

بريد مصور 00218612241576 - ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني - LCC2_2005@Yahoo.ca

الإهـــــداء

إلـــى : أثيرتي _ كاباو _

مسقط الـرأس، ومرتـع بعـض مـن سنى الطفولـة والـصبا، تلـك التـي لا تـزال تتقـد فـي القلـب والـذاكرة، وتـضج بـالحنين، وتشحذ الـفكر بما فيها من أصالة، وكنـوز تبحـث عـن صـائغ مـاهر ليظهر بريـقها وتتلألأ ..

إليها .. وفيض الحب والوفاء يغمرني في كل أن وحين ..

أيـــوب

مقـــدمة

إن أعمـال الإنـسان المبتكـرة سـواء كانـت فنيـة أو عقليـة أو مـادية، لا تكشف عن آثارها الكاملة الحقيقية إلا إذا استندت في بقائها ونموها إلى استعداد نفسي يكون أخلاقياً حقاً، ولقد أثبتت الدراسات النفسية والاجتماعية للأفراد والجماعات أن الإرادة لها الدور الأساسي، وأن هذه الإرادة لها مجموعة من الاشتراطات أهمها النضج العقلي، فإذا اقتنع العقل بشيءٍ وآمن به وجه الإرداة إليه، بيد أن الإرادة لها مؤثرات أخرى أهمها الأديان، لما لها من أثر قوي لا يغلب نظراً لما تثبته في العقول من تكون إيماني قوي يحرك العزائم ويجعلها قوية مكتسحة،وكما يقول الدكتور أحمد خشاب في كتابه (الاجتماعي الديني) الصادر عن مكتبة القاهرة الحديثة عام 1959 م".. فالدين لازم الإنسانية منذ نشأتها الأولى، وأنه من وجهة نظر العلماء المختصين بالإنسان لم يوجد مجتمع من المجتمعات الإنسانية إلا وقام هيكله الاجتماعي على أساس ديني، لا سيما في المرحلة البدائية الأولى، وفي فجر الإنسانية، ذلك لأن الدين يشمل الجانب القدسي في حياة الإنسان".

من هذا المنطلق ينطلق الأستاذ: أيوب عمرو قاسم ليسطرد بقلم واعٍ أحداث مسرحيته (شيخ القصر)، وهي مسرحية نجحت في توظيف الإسقاط السياسي والاجتماعي على قضية الحرية في ليبيا، وكفاح الشعب الليبي بمختلف الأساليب، وعبر العصور في مواجهة الاستعمار بكل أشكاله وأنماطه.

المسرحية اعتمدت على أسلوب (التراجكوميديا) وبها اقتحم الكاتب النمط السائد في المسرح الليبي والذي يتعامل بشكل سطحي ومباشر مع الموضوعات التاريخية والاجتماعية، لكن الكاتب نجح في تجاوز ذلك مقتحماً نمطاً خطيراً وحساساً من أنماط المسرح وهو (مسرحة التاريخ) بموضوعية وأسلوبية جميلة تصل إلى كل متتبع للعمل المسرحي، وتمنحه مساحة كبيرة من المعرفة والترفيه.

تدور أحداث المسرحية إبان الحكم التركي لليبيا، الذي واجه مقاومة كبيرة من الليبيين خصوصاً من خلال ما عرف بثورة غومة المحمودي، واعتماد المقاومة الليبية على مجموعة من الأساليب القتالية والنضالية انطلاقاً من أن "الحرب خدعة"، حيث اتفق مجموعة من المقاومين بمنطقة الجبل على أسلوب يوقفون به تقدم القوات، ومنعها من احتلال المزيد من الأرض

بإيجاد خدعة توحي بأنه يوجد شبح في القصر يعترض تقدم أي شخص يريد شرًّا بالوطن، الأمر الذي يدعو القادة الأتراك إلى الوقوع في مصيدة تلك الخدعة،والتراجع عن التقدم في عمق تلك الأرض خوفاً من شيخ القصر. وبسبب ذلك تترسخ الشائعة بأن القصر له من يحميه وهو ولي صالح يسمى (سيدي شيخ القصر)، ورغم أن الشيخ لم يكن حقيقة ماثلة، بل وهماً خادعاً وجد لغاية محددة، إلا أن الأجيال اللاحقة يترسخ عندها الاعتقاد بأن (سيدي شيخ القصر) قادر على كل شيء، وبالتالي يصير الحلف عنده حالة اجتماعية قانونية تؤدي إلى حل الخلافات الاجتماعية وإقامة العدل بين الناس.

لقد نجح الكاتب في إضفاء جو من الغرائبية الممتعة من خلال هذا النص المسرحي الذي يشكل علامة مهمة من علامات المسرح التاريخي الاجتماعي الليبي، وهو يؤهل كاتبه إلى أن يتبوأ مكانته ككاتب مسرحي يملك أدواته المسرحية، مثلما رسخته كقلم قصصي من خلال مجموعته القصصية (الولادة السادسة) وبهذه المسرحية يكون المسرح الليبي قد كسب قلماً معطاءً يعدُ بالكثير.

بقلم الأديب: يوسف محمد بالريش

طرابلس 2008/04/26 ف

الشخصيات

- **الشيخ سعيد:** إمام مسجد البلدة وفقيهها. وذو حظ من العلم الديني.
- **إبراهيم :** تاجر ووطني يعمل في الخفاء مع المناضلين.
- **الشيخ علي:**
- **الشيخ أمحمد :** من أعيان البلدة
- **الفقيه مسعود :**
- **رمضان وجمعه :** من الشباب النشط الملازمين لأعيان البلدة والمنسقين لاجتماعاتهم وبرامجهم
- **خميس:** حارس القصر.
- **بعض أعيان البدات والقرى المجاورة.**
- **أهالي البلدة.**
- **أحمد بك :** قائد الحملة التركية على الجبل لهدم القصور التاريخية.
- **ملازم سليم:** مساعد أحمد بك ومستودع أسراره.
- **مجموعة من ضباط وجنود القوات التركية.**

الفصـــل الأول

المشهد الأول

الستـارة

يظهر على المسرح قصر قديم وسط باحته ضريح تقف حوله بعض النسوة ومع إحداهن طفل، يقمن بإضاءة القناديل الزيتية. الإضاءة خافتة فلا تكاد ترى الأشياء وجو يعبق برائحة الماضي ..
أمام المسرح وعلى إحدى جوانب الستارة توجد طاولة وعليها كتب وأوراق وساعة رملية وغيرها، يجلس إلى الطاولة رجل لا تظهر ملامحه وإلى جانبه ولد - الطاولة والرجل والولد ينبغي عدم ظهورهم بالكامل ، ويجب أن يكون وجودهم مخفي وفي إظلام تام.
بعد برهة من فتح الستارة تسمع أصوات دفوف لكأنها آتية من بعيد، تقترب وتقترب. تتصاعد تدريجيا. بين الفينة والفينة صوت مدوي: - تستور. تستور يا شيخ القصر تستور ..
ومن حين لآخر تُسمع أحاديث لأشخاص لا ترى. أصوات نساء ، رجال.
صوت نسائي :

وحق شيخ القصر يا أوخيتي ما صار هالكلام ؛

صوت نسائي آخر :

- صادقة يا سليمة ، طيح سعدها هالفتانة ؛

الصوت الأول :

- إيه يا أوخيتي ، تبي تفتن بيني وبينك ، توا غير نشوفها نعرف كيف نتفاهم معاها ؛

الصوت الثاني :

- يا شيخ القصر أقطع لسانها وخليها عبرة للّي زيها.

تعود أصوات الدفوف إلى الإرتفاع بعد خفوتها أثناء الحديث والصوت المدوي :- تستور. تستور يا شيخ القصر. تستور.
خفوت أصوات الدفوف و أصوات رجالية تسمع .

صوت أول :

- أوحق شيخ القصر ماك مروَّح لازم تقعد تتغذى.

صوت ثاني :

- ما عندكش حق يا مخلوف تحلف، راني مش براني.

تتصاعد أصوات الدفوف ، ثم خفوتها بعد حين . أصوات جلبة تسمع ثم:

صوت 1 :

- قول الحق يا ساسي أحسن لك، سرقت المعزة وإلا لا، أمحمد يقول شافك وأنت رافعها في غمرك.

صوت 2 :

- أوحق شيخ القصر ما سرقتها يا قاضي، وأمحمد هذا كذاب. كذاب..

صوت 3 :

- أني كذاب يا خانب. أني مستعد نحلف حتى قدام سيدي شيخ القصر، ويقطع لساني كان كذبت يا سي القاضي. وخليه يا سي القاضي يحلف قدام سيدي شيخ القصر كان صادق.

صوت جماعة :

- أرفعه يا سي القاضي لشيخ القصر، أرفعه لشيخ القصر أرفعه. ارفعه ..

صوت 1 :

- حسناً، حسناً. يا حراس، أحملوه إلى حضرة شيخ القصر ليحلف هناك.

صوت مدوي : تستور. تستور. تستور يا شيخ القصر. تستور.

تعود أصوات الدفوف إلى التصاعد في حدة، والصوت المدوي:
تستور. تستور يا شيخ القصر تستور.
ثم تبدأ الأصوات في الخفتان لكأنها تبتعد رويداً رويدًا حتى تتلاشى.
صمت وسكون لبرهة، ثم تزداد إضاءة المسرح تدريجيا حتى يضأ الجزء الذي فيه الضريح والنسوة. حديث النسوة يتم على خلفية خافتة للدفوف بحيث لا تعرقل سماع حديثهن:
إحدى النسوة - وهي تتمسح على جدار الضريح :-

- بجاهك يا سيدي الشيخ فك عقدتي، وحل أزمتي، وريح بالي، وخلي عيني تتكحل بولد بعد بنتين. خايفة يا سيدي. خايفة زوجي يتزوج علي كان هذا اللي في بطني مش ولد. بجاهك يا سيدي الشيخ، جيت لحضرتك ووقفت في مقامك سبع مغاريب متتالية زي ما قالت لآلا حدّهم، ملئت سراجك بزيت زيتون جديد وصافي، وأضاءت قناديلك والباقي على الله وعليك يا شيخ القصر، تستور والبركة والشيّ لله يا مستجيب الدعاء، تستور ..

تزداد قليلا أصوات الدفوف والصوت المدوي: تستور. تستور يا شيح القصر تستور .. تخفت الأصوات.
إمراة ثانية - وهي تجذب إبنتها إلى الضريح : -

- إقتربي يا إبنتي، إقتربي من حضرة الشيخ، إدّعي معاي - **تبدأ المرأه بالدعاء** - إمسحي يديك على جدار الضريح، لطخيهم بزيت البركة اللي على الجدار إمسحي شعرك .. إطلبي في سرّك ما تشائين. تستور . تستور. **ترد الفتاة وراءها .**

تمسح العجوز يديها على الجدار المشبع بالزيت المنسكب من القناديل وتمسح راس إبنتها ووجهها وصدرها بكفتيها الملطختين ، وإبنتها تفعل مثلها وتردد ورائها وتقول : أمين .

- يا سيدي الشيخ جئناك من بر بعيد لما سمعنا عن بركاتك وقدراتك ، نطلب ربي في حضرتك وبجاهك أن تفكْ العين التي أصيبت بها وحيدتي وترد لها عافيتها ونضارتها ، يا سيدي الشيخ القصر المشهود لك بالدعاء المستجاب ، تستور ، تستور ، تستور والبركة والشيّ لله ..

- **تردد ابنتها الكلمات الأخيرة في هستيرية -**

امرأة ثالثة - وإلى جانبها إبنها الصغير - :

- أني يا سيدي الشيخ جاية نطلب رضاك عنا .

- **تلتفت إلى صغيرها -**

- تعال يا وليدي خوذ شوية من تربة الشيخ الطاهرة - **تنحني وتأخذ بين إصبعيها قليل من التراب** . ألحسه يا وليدي كله بركة ومفعولة زي السحر ، يفتح الدماغ ويزيد الفهم .. طلع لسانك. أيّوه - **يخرج الصغير لسانه يلعق التراب الذي بين أصابع أمه** . أبلعه ، أبلعه ، أبلعه.. **يتفل الصغير التراب ، ولم يستطع إبتلاعه . تغضب الأم . تعاود الكرّه من جديد وهى تقول بصوت غاضب : -**

- أستغفر الله . لا تتفل يا دعوة في حضرة سيدي الشيخ . قلت لك أبلعه باش ينفتح دماغك المسكّر وتصير فهيم ، مش زي أبوك . سامحه يا سيدي الشيخ الولد صغير والقلم مرفوع عنه وأنت أدرى . سيبلعه .. هيا ، هيا يا ولد ..

يحاول الولد إزدراد التراب ، ويجاهد أيما جهاد . وألام تشجعه ـ تدخلت النسوة لتشجيع الصغير- إنتفخت وجنتاه ؛ وأخير بعد جهد وتشجيع يفلح الولد في إزدراده تفرح ألام وتقول :

- يا رب بجاه سيدنا الشيخ أفتح دماغه وخليه من علمائك مثل السي سعيد إمام مسجدنا . يا رب ببركة سيدنا شيخ القصر .. تستور . تستور والبركة. والشيء لله.

تقوم النسوة ببعض الحركات المناسبة ويرددون في صوت واحد :

تستور . تستور . تستور والبركة .

تعلو أصوات الدفوف والصوت المدوي : تستور . تستور يا شيخ القصر تستور مع صوت النسوة . والإضاءة تبدأ في الخفوت رويدا . رويدا ، حتى لا يبقي إلا أضواء قناديل الزيت في الضريح .

أصوات جلبة . وصوت يصرخ ويتوسل :

- والله مظلوم يا حضرة القاضي ، مظلوم يا ناس .

تعود الإضاءة تدريجيا . والصوت مستمر :

- لم أسرق أنا برئ ، برئ ، أقسم لك يا سيدي القاضي أني برئ ..

صوت أخر :

- هيا . هيا من غير دوشة ، أقسم في حضرة سيدي شيخ القصر حتى يصدّقك القاضي وتظهر براءتك في حضرته . هيا . هيا ..

تدخل جماعة من الناس إلي المسرح يتقدمهم القاضي وحارسان قويان يمسكان بالمتهم الذي يبدو على سحنته الفقر والعازة . رثُ الثياب ، هزيل الجسد ، أشعث الشعر . وهو لا يزال يصرخ :

- أرجوكم إتركوني . أنا بريء . بريء ..

شخص من الجماعة يقول :

- يكذب يا حضرة القاضي .. شفته بعيوني هاذي - **ويشير إلى عينه** - اللي بياكلها الدود - وأخذ في غمره معزة أوصافها زي اللي قال عليها خليفة .

يستمر المتهم في الصراخ والقسم ببراءته ، ومكذبا أمحمد الذي يدّعي رؤيته .

القاضي يصرخ :

- إصمتوا جميعاً .

يصمت الجميع . يتقدم القاضي إلى جانب الضريح ويخاطب الحارسين أمرًا :

- اتركوه .

ويشير إلى ساسي (المتهم) بعد أن تحرّر من الحارسين :

- قف هنا - **يشير إلى مكان بجانبه ، بالقرب من الضريح** - . وأنت يا أمحمد تعال وقف هنا - **ويشير إلى مكان من الجانب الآخر** - قسم يا أمحمد أنك ريته وأحكي كيف كانت الحادثة .

يقص أمحمد ـ الحادثة ثم يقول في نهاية حديثة :

ـ وحق سيدنا شيخ القصر ما قلت إلا الحق وإنشاء الله نتبكش وننعمى كان كذبت.

يتمتم ساسي ويرتعش يحاول أن يتراجع إلى الخلف ، يمنعه الحارسان من مغادرة مكانه .

القاضي :

ـ وأنت يا ساسي أقسم بالله في جنابة شيخ القصر أنك برئ وصادق في كلامك ، وأنك ما سرقت المعزة من خليفة الشاوي حتى نتركك وشانك .

ساسي :

ـ يرتبك . يصمت .

القاضي :

ـ هيا أقسم .

ساسي :

ـ صمت . يظل خائفاً ، مرتعشاً .

القاضي :

ـ تعال يا نايب لقنه القسم ليردده هو من وراءك .

النايب :

ـ أقسم بالله العظيم. وبجاه شيخ قصرنا مستجاب الدعاء.

يردد ساسي القسم بصوت مرتعش . متقطع ..

النايب :

ـ أني ساسي ولد مسعودة ما سرقت معزة خليفة الشاوي ولا ريتها وأن أمحمد ولد فاطمة كذاب ولا

راني ولا ريته . وكان كنت نكذب إن شاء الله بجاه سيدي الشيخ نتبكش وننعمى ..

عند وصول القسم إلى المقطع الأخير ينفجر ساسي باكياً وينهار ،. يخرّ على ركبتيه أمام قدمي القاضي يطلب منه الصفح والعفو ..

ساسي باكيا :

- معادش نعاود يا سيدي القاضي . سامحني . سامحوني .. العازة خلتني نسرق .. سرقت باش نشرّب صغاري حليب .. **ويستمر في بكائه وإستجدائه ؛ والجماعة من حوله ملتفون ..**

القاضي :

- إنهضوه..هيا احملوه إلى مجلس القضاء لنبث في أمره.

تحمله الجماعة . وساسي مازال في بكائه وصراخه واستجدائه ..

خليفة الشاوي (صاحب المعزة) :

- ببركة سيدي شيخ القصر أظهَرْ الحق تستور . تستور..

تعود إليه بعض الجماعة :

- تستور يا سيدنا الشيخ مظهّر الحق وكاشف المستور. تستور . تستور . تستور والبركة .

تعود أصوات الدفوف تدريجيا والصوت المدوي : تستور ، تستور . تستور يا شيخ القصر تستور ، تقل الإضاءة تدريجيا حتى الإظلام الكامل عدا القناديل الزيتية ، وتتناقص أصوات الدفوف حتى الصمت التام .

بقعة من الإضاءة الزرقاء تسلط على الشخص والولد الجالسان إلى الطاولة التي بالقرب من الستارة .

يظهر رجل يرتدي لباسا ليبيًا متكاملاً كآت وكبوس وجرد أبيض رقيق . والولد ببذلة عربية بيضاء ـ قميص وسروال ـ مع فرملة وطاقية بيضاء .

الرجـل :

- أرأيت يابني إلى أي حد وصل الاعتقاد بالأولياء ، يجعلونـه وصـيا وحلقـة وصـل بيـنهم وبـين الله سبحانه وتعالى ، يأتون إليهم متشفعين متوكلين ، وكثيرا ما تذبح القرابين وتصدّق في حضرتهم .

تعود إضاءة خافتة - يظهر الضريح ونفر من الناس كل يقوم بحركة ما تبين وتؤكد قول الرجل ، وتظهر القرابين . خروف يدفعه شخص لتقديمه قربانا في حضرة الشيخ ..

الولـــد:

- أرى أنهم يخشون شيخ القصر أكثر من خشيتهم لله ، إنهم يحنثون بالله ولا يحنثون بالشيخ الوليّ .

الرجـــل:

- صدقت ، فالله عقابه مؤجل دائماً . هكذا في اعتقادهم - والوليّ عقابه آنيّا . وكم من روايات وحكايات رويت على قدرات الوليّ الخارقة ، لتعزز من كراماته وتؤكد العقوبات المنزلة على من يكذب أو يحنث أمامه أو باسمه، أو غير ذلك من الأفاعيل والأقوال في حضرته. ولهذا يخشون الوليّ لأن واقع حالهم يخيل إليهم قدرته على تأديبهم عاجلاً وليس أجلاً .

الولـــد:

- لكن يا أبى من يكون هذا الوليّ أو شيخ القصر ؟

الرجـــل:

- إن لشيخ القصر هذا حكاية طويلة ، غريبة ، عجيبة! حاولت أن أقنع أهل البلدة بها إلا أنهم أبو تصديقها ،

لأن الاعتقاد أرسخ من حكاية ليس لها دليل .

الولـــد :

- حكاية ليس لها دليل !! ومن قصَّها لك إذاً ؟!

الرجـــل:

- أنها حكاية متواترة بينٍ العقلاء من أهل البلدة ، وكثيراً ما كانت تقصُّ سراً ولا يجهر بها حتى لا يتعرض مرددُوها إلى غضب الأهالي ، وذلك بالتشكيك في مصداقية شيخ قصرهم الراسخة في أذهانهم ، وخاصة أن الأولين رددوا ما فعله الشيخ لحماية القصر..

الولـــد:

- حماية القصر !! لقد شوقتني إلى سماعها يا أبى ..

الرجـــل:

- حسناً. حسناً يابني ، سأقصها عليك إسمعني جيداً...

يبتدي إظلام المسرح تدريجيا .

تختفي البقعة المشعة على الشخصين ويسمع صوت الرجل :

صوت الرجل :

- كان ذلك منذ بدايةِ النصف الأول من القرن التاسع عشر وتحديدا أيام الحكم العثماني الثاني والمواجهة بينها وبين غومة المحمودي وأتباعه من عموم الجبل ، بعد مواجهة استمرت - حتى ذلك الوقت - لأكثر من عشرة سنوات ...

إظلام كامل ، موسيقي ومؤثرات صوتية .

الستـارة

الفصـــل الثـــاني

المشهد الأول

الستارة

المكان ـ مسجد القرية .

الوقت ـ وقت الأصيل ـ قبيل صلاة المغرب

المسجد عبارة عن غار محفور في الجبل. أرضيته مغطى ببعض حصائر الديس، وبعض الكلمان، وجزء من أرضيته بدون فرش. محرابه محفور داخل الجدار المقابل لمدخل الغار وعليه بعض الآيات مكتوبة بالجبس بخط كوفي. فجوات متباينة تتوزع على الجدران فيها بعض الكتب القديمة وبعض المصاحف المكتوبة باليد، وكذلك تتواجد في بعض منها قناديل زيتية وقتينات مملؤة بالزيت، وبعض علب الكبريت. وإلى جانب المحراب توجد مجموعة من الألواح منها ما هو مكدّس فوق بعضها، ومنها ما هو مسندة إلى الجدار.

المسجد خال من رواده إلا من الشيخ سعيد التبريسي ـ إمام المسجد و فقيه البلدة ـ جالس يقرأ في مصحف وضعه بين ركبتيه.

وبعد حين يدخل المسجد رجل تبدو على سحنته وهيئته علامات السفر والإجهاد، يرتدي جلبابا طويلا مخططا بالأبيض والأزرق، يلوح من أسفل جلبابه سروال أزرق غامق، وقد لفّ وسطه بحزام عريض مين قماش أبيض. على كتفه الأيسر بندقية وعلى جانبه الآخر تدلت مخلاة ضامرة.

الرجـل:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا شيخ سعيد .

يهب الشيخ سعيد مهللا ، مستقبلا الضيف بحرارة..

الشيخ سعيد :

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . من ؟ إبراهيم أهلا ، أهلا يا ولدي ، الحمد لله على سلامتك ..

يتمانقان طويلاً ويتصافحان . وتستمر بينهما كلمات السلام والترحيب والسؤال عن الحال والأحوال ..

الشيخ سعيد:

- أي ريح طيبةٍ تلك التي جيئت بك إلينا بعد غيبة دامت شهورا ؟

إبراهيم :

- نعم أنها والله لغيبة طويلة، حتى أن شوقي إليكم ولهفتي غذت هاجس يقض مضجعي وحائل يحول دون راحة بالي أثناء جولاتي في ربوع البلاد، ولكن يا شيخنا أنت أدرى بالظروف والأحوال التي يمر بها الجبل هذه الأيام.

الشيخ سعيد :

- نعم يابني. إنها أحوال لا تسرّ.

إبراهيم :

- هي ذاتها التي دفعتني إلى المجيء إليكم .. وكما ترى فإنها لن تكون بأي حال ريح طيبة تلك التي جيئت بي إليكم .

الشيخ سعيد:

- مجيئك وشخصك هو الطيب ذاته . أما عن أحوال الجبل فلنسال الله السلامة .

إبراهيم :

- أن سير الأحداث يا شيخنا تنبؤ بمزيد من العواصف والأعاصير ..

الشيخ سعيد يتنهد بحرقة :

- فلنسأل اللهِ السلامة وحسن الختام ..

يصمت قليلا ..

- يبدو أن لأوبتك هذه المرة سبب ما ، وأظنه أمر جلل يخصّ بلدتنا ، فعيناك وملامح وجهك تقولان ذلك .

إبراهيم :

- صدق حدسك يا شيخ .. أمر قد يبدو للوهلة الأولى يخِصّ بلدتنا ، ولكن إذا نجح مسعانا فإنه يؤتي أكله خيراً بإذن الله على بلدتنا ومناطق أخرى من حولها .

الشيخ سعيد :

- لقد شوقتني لسماع ما في جعبتك من أخبار .

إبراهيم :

- لا يا شيخ ، ليس هنا وفى هذا الوقت ، فالأمر ينبغي أن يبقى طيّ الكتمان ، وأن يقرَّه أعيان البلدة حتى نضمن له النجاح .

الشيخ سعيد :

- إذا هيا إلي بيتي ، هناك سنتحدث .

إبراهيم :

- إنك أمام المسجد ، والوقت قارب لصلاة المغرب ، سنلتقي هناك بعد الإنتهاء من صلاة العشاء مباشرة ، وتحضر معك أعضاء مجلس الأعيان، وسأكون هناك في الموعد .. الان أستأذنك .

الشيخ سعيد :

- عشاؤك عندي مع الجماعة إن شاءَ الله .

إبراهيم :

- المهم يا شيخ أن يكون الحاضرون أهل رأي وثقة ، حتى لا يفشى الأمر ويفسُدَ كل شيءٍ .

الشيخ سعيد :

- ترى أي أمر هذا ؟! أتعجل مرور الوقت لمعرفته .

إبراهيم :

- كل شيءٍ بأوانه . ألان أستأذنك وأستودعك الله .

ينهض . يهم بالخروج ـ لقاؤنا بعد العشاء في بيتك . السلام عليكم .

الشيخ سعيد :

- عليكم السلام .

تتناقص الإضاءة وموسيقى معبرة .

المشهد الثاني

الستارة

المكان : منزل الشيخ سعيد
حجرة مبنية بأحجار وطين ومسقوفة بجذوع النخيل الصنّور وجذوع الزيتون ، كل ما فيها يعبر عن البساطة ، حصائر الديس وبعض الكلمان والمخدات المرقومة وإبريق فخاري لمياه الشرب وبعض المقتنيات معلقة على الجدران بغير إنتظام وفجوات عديدة في الجدران بمثابة أرفف تتواجد فيها أشياء مختلفة من بينها قنديلا زيت ، مشتعلان يضيئان المكان ، باب الغرفة مصنوع من جذوع النخيل .

يتقدم الشيخ سعيد أربعة رجال من بينهم إبراهيم يصدر الشيخ نحنحة قوية و يقول :

- بسم الله. تفضلوا يا جماعة ، تفضلوا ، تفضلوا ، البيت بيتكم ،
- السلام عليكم - **تقول الجماعة - وهي تدخل إلى** الدار.
- وعليكم السلام ؛

يرد الشيخ سعيد ويردف قائلا :

- أهلا بكم أهلا . أهلا .. أنستم البيت وأهله اجلسوا يا جماعة. تعال هنا يا رمضان. خذ هذه الوسادة يا شيخ علي. قرب هذا النطع. أدخل إلى الداخل يا إبراهيم ... **يتنقل الشيخ هنا وهناك يحاول قدر الإمكان تهيئة أفضل الظروف لزائريه .**

إبراهيم :

- إجلس يا شيخ إرتاح ، نحن لم نأتي لنتسامر ونقتل

الوقت ، فالوقت يمر وهو قاتلنا أن لم نستثمره .
أجلس فهناك كلام ينبغي أن أقوله وتسمعه الجماعة.

جمعة :

- عندك حق يا إبراهيم ، إجلس يا شيخ سعيد تعال هنا إلى جانبي .

رمضان :

- لقد أقلقنا كلام الشيخ سعيد في المسجد . ودعوتك للاجتماع بنا وحرصك على أن يبقي الأمر سرا ، فما الأمر ؟!!! أرجو أن يكون خيرا

الشيخ علي :

- كلنا نرجو ذلك ، ولكن نرجو ألا تكون رسالة أخرى من غومة أو من أحد مساعديه فما عاد لدينا القدرة والجهد على القتال وتحمل أعباءه .

إبراهيم :

- إطمئن يا شيخ علي ، ففومة ربنا يفرج عليه كربته أسير لدى الأتراك كما تعلم ويعلم الجميع هو ومساعدوه فلا تخشى من القتال ، ولكنني دعوتكم لأمر يحتاج إلى رأى ومشورة وقرار ينبغي أن نتفق عليه ، وأنتم فيما أرى أهل رأي ومشورة والأهالي لا يسفهون قراراً قررتموه أو أمرا اتخدتموا . وكم كنت أتمنى لو حضر معنا الفقيه مسعود والسي أمحمد ، ولكن البركة في الحاضرين .

الشيخ سعيد :

- أنهما في أوكارهما خارج البلدة ، ولكن سنعلمهم

بمـا نتوصـل إليـه إن شـاء الله مـن أمـرٍ ورأي .
والبركة في الحاضرين .

ينهض الشيخ سعيد ، يغيب قليلا ليعود وفي يديه طبق من السعف مملوء بالتين الجاف مع قدح من اللبن ـ

- تفضلوا يا جماعة .

جمعة :

- أتعبناك يا شيخ ..

الشيخ سعيد :

- لا تعب ولا حاجة ، كله خير من الله ، وتعبكم راحة ..

الشيخ علي :

- هيا يا إبراهيم أخبرنا بالأمر الذي جمعتنا لأجله .

إبراهيم :

- بسم الله .. لقد أدركت من خلال حديثي معكم في المسجد ، ومع الأهالي أنكم على علم بما يمر به الجبل هذه الأيام من أوقات عصيبة تركت آثارها في النفوس وعلى الوجوه والأبدان ، وتزداد حدة مع تقدم الأتراك في الجبل ، وإحتلالهم له بلدة بلدة وقرية قرية .

الشيخ علي :

- أنهكتنا المعارك ، وأجهدتنا قلة الإمكانيات والسلاح.

رمضان :

- كدنا ننقض على حكمهم ، وصلنا إلى مشارف طرابلس وهددنا ولايتهم هناك .

إبراهيم :

- قوانا وقواهم غير متكافئة ألبتة . يأتيهم المدد من سلاح ومؤن ورجال من الباب العالي ومن مختلف الولايات العثمانية ، ونحن لا نصير لنا غير أنفسنا ، وحتى مؤيدينا لا حول لهم ولا قوة .

جمعة :

- قوت رجالنا نأخذه من أفواه أطفالنا حتى نستطيع أن نصمد ونقاوم ونستمر في المعركة .

إبراهيم :

- أما السلاح فنهرِّبه من الولايات المجاورة وحتى هذا الباب سُدَّ في وجوهنا.

الشيخ سعيد :

- عشرة أعوام أو تزيد ونحن في حالة ثورة ضد الظلم والتعسف التركي .

الشيخ علي :

- صادقوا غومة وعاهدوه على الصلح ثم غدروا به . دعوه إلى طرابلس هو ورجاله وعندما حضر إليهم أسّروه . هذا الوالي الطيب الذي يريد أن يوصف عهده بالعدل والإصلاح - يغدر بغومة وإخوانه ، يعتقلهم ويأسرهم ، أليس هذا بغدر وخيانة ؟!

جمعة :

- والأنكا من ذلك يقوم بنفيهم إلى طربزين هو ومساعديه أعضاء المجلس من العرب .

إبراهيم :

- الذي غدر ليس الوالي محمد أمين باشا على ما أعتقد ولكن رئيس جيشه أحمد باشا ، والوالي لا حول له ولا قوة أمام هذا المتغطرس والحاقد على غومة ، لأن غومة هزمه هو وقواده في ميدان المعارك شر هزيمة .

رمضان :

- كم من مآثر وبطولات لرجالنا .. نهض الجبل كله لمقاومة الظالم أحمد باشا وجيشه .

الشيخ على :

- ولكن أسر غومة ونفيه أضعف المقاومة بل قتلها .

إبراهيم :

- هذا ما كان يدبّره أحمد باشا ويرجوه .

جمعة :

- أملاً في الإرتقاء في المناصب .

إبراهيم :

- ربما كان يأمل أن يصير واليا .

الشيخ علي :

- معاذ الله فقلبه قُدَّ من حجر ، لا يعرف الرحمة ولا الشفقة .

رمضان :

- ولكن سوف يهرب غومة من منفاه ويعود ليشعل الجبل من جديد ضد الأتراك . الكل في انتظاره .

إبراهيم :

ـ لا أظن أن عودة غومة تصلح أحوال الجبل ، ولا أظنه قادر في هذا الوقت بالذات على الصمود في وجه الأتراك كما كان قبلا .

الشيخ علي :

ـ ما الذي تقصده ؟!

إبراهيم :

ـ اسمعوا يا جماعة بحكم تجوالي الكثير في ربوع الولاية وخاصة ما بين طرابلس ومناطق الجبل ، ودخولي المستمر إلى مناطق الأتراك بحكم عملي كتاجر ، ومعارفي الكثيرة في الجانبين ، فإنني لا أريد خداعكم ، فالأتراك صاروا حريصين الآن أكثر من أي وقت مضى على القضاء على هذه الثورة ـ ثورة غومة ـ التي طال مداها لتبلغ حتى الآن عشر سنوات منذ إندلاعها في 1835ف كما تعلمون ، فالظروف في هذه الأوقات لصالح الأتراك وخاصة بعد القضاء على ثورة عبدالجليل سيف النصر في المنطقة الوسطي والجنوبية من الايالة بعد هزيمته في معركة قارة البغلة ومصرعه هو وأخيه سيف النصر ، وكذلك بعد فراغها من حروبها الطاحنة مع محمد باشا والي مصر في الشام وأسيا الصغرى عقب هزيمة الأخير في معركة نصيبين وغيرهما ، لذا فإن الأتراك أعدوا للقضاء على هذه الثورة العدة الكافية من مال

ورجال وسلاح .. وما تعينهم لأحمد باشا قائد جيشهم قائداً لحملاتهم علينا إلا دليل على عزمهم على حسم الأمر لما عُرِفَ عنه من بطش وسفك دماء .

الشيخ علي :

- ولكنهم حينما لم يتمكنوا بأحمدهم هذا أن يقضوا على ثورتنا لجوا إلي الغدر بإستدراجهم للشيخ غومة ورفاقه إلى طرابلس ، ثم القبض عليه ونفيه إلى طربزين.

رمضان :

- ولكننا لازلنا في إنتظار غومة ، كما وعدنا الشيخ ميلود بن شقرون
- زميله في المنفى والأسر ، الذي هرب وقال لنا أن الشيخ غومة سيهرب مثله وسيعود ليشعل الجبل من جديد نارا على الأتراك ، إننا على يقين بأن الثورة ستستمر أعواما وأعواما ، حتى تتحقق مطالبنا العادلة.

إبراهيم :

- أنا على يقين من أن أسباب الثورة مازالت قائمة في نفوس الأهالي ، ستستمر أعواماً وأعواما ، وخاصة أن الأتراك يصمّون أذانهم عن المطالب العادلة للسكان ، ويستمرون في غيّهم وجبروتهم . **يصمت قليلا ، يتنهد :**
- ولكن مقومات إستمرار الثورة لا أظن أنها في صالحنا كما قلت ، وهل سيعود غومة أم أنه لن

يعود؟ فهذا في علم الغيب بالنسبة لنا وخاصة أن الأتراك كما سمعنا قد ضيقوا عليهم حرية الحركة وشددوا الإجراءات الأمنية عليه وعلى رفاقه بعد هروب بن شقرون .

يصمت ، يتأمل الوجوه ثم يستطرد :

- الثورة ستستمر ، نعم ستستمر ، هكذا أراها لأن معطياتها لازالت قائمة ، ولكن هل هي في صالحنا؟ الجواب لا أظن أنه سيكون كما نريد وفقا للمعطيات الراهنة .

الشيخ سعيد :

- لا حول ولا قوة إلا بالله .

إبراهيم :

- من منا لا يتمنى عودة غومة ومن منا لا يتمنى أن تستمر الثورة حتى النصر ، لماذا ثرنا إذن ؟! إن لم نكن نمني أنفسنا بتحقيق النصر والحصول على مطالبنا العادلة !!

جمعة :

- ثرنا حين كانت الثورة فرضاً ولزاماً علينا . حالنا وأحوالنا بلغت من السوء الحد الذي صار فيه الكثير يعجز عن أود أطفاله وأسرته . أنهكتنا الإتاوات والضرائب المفروضة ، مع توالي سنوات الجفاف علينا. والأتراك لا يلتفتون إلينا ، ويرفضوا الاستجابة لمطالبنا بالتخفيف عنا وإعطائنا المزيد من الحرية ، والكف عن توزيع المناصب والمراكز

الهامـة والامتيـازات للأتـراك وغيرهـم دون أبنـاء الـوطن .. وطالما مطالبنـا لم تتحقـق فلـن تخمـد الثـورة ، وستـستمر، وسـننتظر عـودة غومـة ، لأنـه رمز ثورتنا ، وسنواصلها بدونه حتى يعود أو تتحقق مطالبنا المشروعة ..

إبراهيم :

- ماذا يستطيع غومة أن يفعل لو عاد ؟ ومـاذا سيّجد لـدينا ؟! إنـه لـن يجـد إلا بلـدات وقـرى محطمـة مخرّبـة وسكان مـنهكين فقـراء . مـاذا يـستطيع أن يفعـل أمـام قـوة جبـارة كالدولـة العثمانيـة ؟ إنهـا الدولة الإمبراطورية ـ أكبر دولـة علـى هـذه الأرض، غاشمـة ، ظالمـة .. إننـا يـا جماعـة حـين إنتفـضنا نريـد أن يـسمع صـوتنا العـالم والـسلطان الجـالس هنـاك في قـصره في اسـطنبول ـ علـى عـرش هـذه الإمبراطوريـة، نريـد أن نُـشْعِرَه بـالظلم والجـور الواقع علينـا ، ونُعْلِمَه بأحوالنـا ومـا آلت إليـه ، مـن جراء تصرفات ولاته وحاشيته الذين لا هم لهـم إلا جباية الأموال وتكديسها في خزائنهم . نرفع صوتنا ونـصرخ في وجـه الظلـم علـه يـسمعه فيرفـق بحالنـا ويحس بمعاناتنـا . ولكن لا العـالم سمـع صـوتنا لأنـه أضعف من يتجاوز هذه الجبال ، وحتى الـدول الـتي تـدَّعي سَـمَعَنا مثـل إنجلـترا وفرنـسا فانهمـا لا يتحِركان إلا وفق مصالحها ، ولا السلطان أحس بنا وتَفهَّم مطالبنا ..

سكت وأخد يتأمل وجوه الجماعة التي ران عليها صمت ثقيل ، ثم يعود

فيقول :

- بعد عودة الشيخ ميلود هارباً من منفاه ، عاد الأمل يداعب أهل الجبل، إلتف حوله الرجال لمناصرته ومعاودة الثورة ، ولكن وقعت الواقعة في معركة ككله وتم وأد الأمل قبل اكتماله في نفوسنا ..

رمضان :

- كفانا بالله عليك يا إبراهيم .لا تذكّرنا بمصائب مازال وطئها ثقيل على نفوسنا .

إبراهيم :

- ما أريد أن أقوله أن المعركة في الميدان ليس لنا عليها طاقة ، فلا مدد ولا سلاح ولا مؤونة لرجالنا، والأتراك فرضوا حصاراً غير معلن وعاقدون العزم على تشديده علينا حتى نرضخ ونستسلم .

الشيخ علي :

- انهم يعملون ألان على شراء ضمائر الرجال ورؤساء القبائل والمناطق بالمال والمؤن نظير خضوعهم.

إبراهيم :

- إنهم يتقدمون .. قادمون .. أجلاً أم عاجلاً ، سيحتلون الجبل وسيعملون على إخضاعه .

رمضان :

- إنهم لم يستطيعوا فعل ذلك في أي وقت من

الأوقات ،ونفوذهم لم يكن إلا إسمياً علينا فكيف يجرؤن الأن على فعل ذلك ؟!!

إبراهيم :

- القوة والبطش والمال من يفعل ذلك ..

الشيخ سعيد يتنهد ويقول :

- لا حول ولا قوة إلا بالله . فوق كل ذي قدرة قادر .

الشيخ علي - غاضباً - :

- دعوتنا لتقول لنا هذا يا إبراهيم ! لتقول لنا أن الأتراك سيحتلون الجبل ويحتلون ويدخلون إلى كاباو .. جئت لتثبيط عزائمنا!

الشيخ سعيد :

- كل ما شاء الله كان ، ولا مرد لقضائه .

إبراهيم :

- أنا ما دعوتكم لاقول لكم ذلك ، ولكن الحديث إسترسل بنا على هذا النحو ، والأمر الذي دعوتكم لأجله لا يعدو إلا أن يكون له علاقة بحديثنا .

الحاج سعيد :

- أدخل في الموضوع رأساً حتى لا يجرنا الحديث مرة أخرى إلى غيره، فما عاد لنا صبر على الانتظار ، والقلق بدأ يتسرب إلى نفوسنا بعدما سمعناه من حديث.

الحاج علي :

- ترى أي أمر هذا ؟!

إبراهيم :

- القصر .

الجماعة - بصوت واحد - :

- القصر !!

إبراهيم :

- الأتراك جهزوا حملة بقيادة أحمد بك لهدم قصور الجبل . هكذا تقول الأنباء الواردة ، وما علمته من أكثر من مصدر قريب من الأتراك .

الحاج علي :

- أية أخبار تأتينا بها ! أي نذير شؤم هذا الذي نسمعه !

إبراهيم :

- حسبي الله ونعم الوكيل . ما بك يا شيخ علي غضبان ومتحامل علي ؟! إذا كان كلامي يزعجكم فأنني سأعتذر ، وأصمت ، ولكن صمتي وغضبك لن يجديا شيئا ، فالأحداث تتسارع وفق قوانينها ، وهي في غير صالحنا ألبتة شئنا أم أبينا ، صمتنا أم صرخنا .

جمعة :

- أسكت يا شيخ علي أرجوك .. المعذرة يا إبراهيم ، الشيخ لا يقصدك في شخصك ، ولكن تلاحق الأحداث والأنباء السيئة جعلته وجعلتنا أيضا سريعي الانفعال والغضب . فالمعذرة .. وأنت يا شيخ علي أرجوك إصمت . ودعنا نكمل ما جئنا من أجله .

الشيخ على :

- سأصمت ، المعذرة يا إبراهيم فما تقوله كلام يذهب العقل .

إبراهيم :-

- ولكنه الواقع الذي ينبغي إدراكه لنتمكن من إعداد ما يلزم لمواجهته أو التأقلم معه حين تتعذر المواجهة ، حتى لا يباغتنا ويصدمنا لقاؤه ، فيحدث ما لا يحمد عقباه .

الشيخ سعيد :

- صدقت يا بني . إستمر في حديثك فأنت أكثرنا دراية و خبرة بالأحداث والأتراك بحكم التصاقك بهم . فأي خطر يتربص بقصرنا وقصور الجبل ؟

إبراهيم :

- قلت لكم هي أنباء سمعتها من عدة مصادر وأشخاص تربطني بهم علاقة عمل أو صداقة ، لكنها أنباء شبه مؤكدة ، والمعطيات والدلائل تؤكدها يوما بعد يوم .. ولهذا أسرعت أنبئكم بما علمته لنتحرك ونعمل سويا من أجل إنقاذ قصرنا الذي هو رمز لبلدتنا ومخزن طعامنا وأشيائنا .

الشيخ على - متبرماً ، غاضبا - :

- أيعقل هذا الكلام ؟! يهدمون القصور . حتى الكفرة لم يفعلوها ، ليفعلها أتراك مسلمون . هذا القصر العظيم يهدمونه .. لا لا أظن .. أعوذ بالله من كل ظن سيء.

الشيخ سعيد - غاضباً - :

- ألم نقل لك أصمت يا رجل ؟!

الشيخ علي :

- ولكنه كلام ثقيل يا شيخ سعيد يهدمون قصور الجبل وقصرنا العظيم .. كلام لا ينبغي بِجال سماعه . إنه نذير ووعيد . لكأنه جاء مرسلا من الأتراك ويتكلم باسمهم ليخيفنا .

إبراهيم :

- لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، حسبي الله ونعم الوكيل.

الشيخ سعيد :

- أتقي الله فيما تقوله عن الرجل . كلنا يعلم قدره ووطنيته وصدقه . وطنيته هي التي دفعته للمجيء ألينا ليخبرنا بما نحن في غفلة عنه . أفلا تصمت وتركتنا نكمل الحديث ونستجلي الأمر منه ؟

إبراهيم :

- سامحك الله يا شيخ علي . أتشك في ولائي ووطنيتي . ولكني أذكرك إن كنت نسيت ما حدث للقصور الواقعة في قضاء يفرن وقِصر بن نيران العظيم من بينهم، والذي كان مقرا لإقامة الشيخ غومة منذ سنة تقريباً .. ماذا فعل بها الأتراك ؟ ألم يهدموها ؟ وأين قصر كاباو من قصر بن نيران ذلك القصر العظيم والذي يعتبر أكبر قصور الجبل ؟ أو بعد هذا لازال عندك شك في إقدام الأتراك على هدم باقي القصور ؟!!

الشيخ علي :

- ولكن قصر بن نيران والقصور التي هدموها في القطاع الشرقي من الجبل وحسبما سمعنا أن الأتراك هدموها لأن رجال غومة يحتمون فيها ويستعملونها كقلاع في معاركهم ضدهم .

إبراهيم :

- هراء . خداع . يقولون ذلك ليختلقوا المبررات ويفتعلوا الحجج لأعمال ليست من الإسلام في شيءٍ ، وهي نفسها المبررات والحجج التي سيأتون بها عند شروعهم في تهديم باقي قصور الجبل وقصر كاباو من بينهم .

الشيخ سعيد :

- وما غايتهم من فعل ذلك ؟

إبراهيم :

- غايتهم الحقيقة والخفية هي محاربتنا اقتصادياً ، وذلك بحرمان الأهالي من توفير وتخزين أكبر قدر من منتجاتهم الزراعية وغيرها التي طالما حفظتها هذه القصور من التلف والفساد والنهب لفترات طويلة . والأتراك يعلمون أنه خلال الثورة ضدهم كانت هذه المدخرات عوناً لرجالنا في ثورتهم ، هذا سبب والسبب الأخر هو رغبتهم في قهرنا وذلك بتحطيم رموزنا وإستعراض قوتهم وبطشهم في آن. صمت طويل ران على الجميع .

الشيخ سعيد :

- يا جماعة .. وكّلوا أمركم إلي الله .

الجماعة (في صوت واحد) :

- توكلنا على الله ، توكلنا على الله ولا إله إلا ألله .

إبراهيم :

- إعقلها وتوكّل ، يقول رسولنا الكريم ﷺ

تردد الجماعة الصلاة على الرسول .

رمضان :

- وماذا تظن بمقدورنا فعله ؟ وكما تعلم أنهكتنا الأيام والمعارك وانحسار الأمطار.

جمعة :

- هزيمة الشيخ ميلود كانت القشة التي قصمت ظهر البعير كما يقال . فلا أظن أن أحداً قادر على توحيد الجبل مثل غومة المنفى في طربزين. ولا أظنك تدعونا إلى حمل السلاح للدفاع عن قصرنا وقصور الجبل ؟!

إبراهيم :

- لا يا جمعة أنا لا أدعوكم إلى ذلك . لأنني لو أعلم بجدوى تلك الدعوة لدعوتكم أليها . ولكن مثلها في هذه الأيام بالذات تمثل إنتحارا وتهورا لا يقبله عقل ولا دين، ولا تغيّر من الأمر شيئا ، والله سبحانه يقول لنا " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة".

رمضان :

- إذن هل لك تدبير أخر ينقذ قصرنا ؟

إبراهيم :

- صدقت يا رمضان إنه التدبير.إنه التدبير والحيلة والخديعة

جمعة - ومعه الجماعة - :

- الحلية والخديعة !

إبراهيم :

- نعم الحيلة والخديعة . أريد رأيكم وموافقتكم على ما سأدبره ، وتساعدوني فيما سأتخذه من خطوات ، والنتيجة نتركها على الله سبحانه وتعالى ، ندعوه أن يوفقنا فيها .

الشيخ على :

- قل ما تريده ، ونحن معك فيما لا يغضب الله ولا يضرُّ بالوطن والأهالي .

إبراهيم :

- وهل تظن إني فاعل غير ما تقوله يا شيخ علي ؟!

الشيخ سعيد :

- نحن معك يا إبراهيم فيما تشيره علينا وتدبره وما ستتخذه من خطوات . فنحن على ثقة بك وبصواب رأيك وتدبيرك .

الجماعة :

- نعم نحن معك يا إبراهيم .

إبراهيم :

- بارك الله فيكم على ثقتكم هذه .

يصمت وتصمت الجماعة .- مؤثرات موسيقية وأصوات الدفوف -

إبراهيم :

- إسمعوا يا جماعة .. أريد أن يكون لقصرنا ولي صالح

الجماعة :

- للقصر ولي صالح !! كيف ؟!

مؤثرات موسيقية وصوتية معبرة لبرهة .

- للقصر ولي صالح !!

إبراهيم :

- حجرة حارس القصر هي ذاتها ستكون ضريح ذلك الولي الصالح ، شيخ قصرنا الذي يجب أن يظهر ويعرف الجميع ويقتنع كل الأهالي وأهالي البلدات والقرى المجاورة بظهوره . يجب أن نعمل على إشاعة ذلك . بأن لقصر كاباو شيخ وولي صالح مستجاب الدعاء يسمي شيخ القصر ظهر وأعلن عن وجوده . ونذيع ذلك ونطلب من الجميع أن يجلوه ويقدروا ظهوره ومكانته . نعم يجب أن يزار ويتبرك به ويقسم بجاهه ، وفي حضرته وتضاء القناديل كل ليلة ومساء على ضريحه .

الشيخ علي :

- ما هذا الذي تقوله يا إبراهيم ؟! أيعقل هذا ؟! أيصدق الناس ذلك لمجرد أننا نريده ؟!! ثم ما علاقة هذا بإنقاذ قصرنا ؟! لابد أنه سيحارب معنا الأتراك .. ها . ها . قل كلام غير هذا يا رجل ..

جمعة - بغضب - :

- عدنا إلي كلام الذي لا طائل من وراءه غير الجدل

والسجال العقيم . ألا تعرف الصمت ؟! وإلا الكتب البالية التي تقرؤها تحثك على التمرد ومخالفة الجماعة - **يرفع يديه في وجه الشيخ علي ويصرخ** - دعنا نفهم ما يقول ؟ وإذا لم يعجبك قوله إنسحب من المجلس أتركنا ننصت حتى النهاية.

سجال عاصف يتفجر بين الجماعة والشيخ علي ، الذي يهمّ بالخروج ..

إبراهيم :

- لا . لا يا جماعة . إهدأ يا جمعة . عد إلي مكانك يا شيخ علي ، لن يخرج أحدكم من هنا حتى نتعاهد على عدم إفشاء ما يدور ودار من حديث ، وأن الأمر سيبقى سرًا بيننا . لأن إفشاء الأمر يحبط كل ما سنعتزم القيام به .

الشيخ علي :

- أعاهدك بأنني لن أُحدِّث أحداً بالأمر . فقط اتركوني لحالي ..

الشيخ سعيد :

- أقسم أنك لن تغادر المكان قبل أن نكمل الحديث ونتفق على أمِر .. هيا إجلس . إجلس يا رجل .

يشده من طرف جرده ، حاثا إياه على الجلوس والعودة إلى مكانه . يعود الشيخ على ويدور حديث بين الجماعة بالخصوص .

إبراهيم :

- لا تستعجل الأمر يا شِيخ علي حتى أكمل حديثي . كنت أظنك أكثر حلماً وحكمة، ولكن غضبك يذهب الكثير من حكمتك وحلمك وسداد رأيك ..

كاد الأمر أن يحتدّ مرة أخرى ، لولا تدخل الشيخ سعيد الذي قال :
الشيخ سعيد:

- إتقوا الله يا جماعة . فليس هذا وقت التخاصم والجدال ، فالأمر خطير ويجب علينا أن نكون في مستوى المسئولية . يا جماعة يجب أن ندرك أن الرجل - **يشير إلى إبراهيم بأصبعه** - جاء ولديه أشياءا لم تخطر على بالنا هذا صحيح ، ولكن ينبغي أن نسمع له حتى النهاية ونقرر بعدها ما نحن فاعلون . وأنت يا شيخ علي ألا تستطيع الصبر حتى النهاية ؟! ألا تستطيع أن تكبح غضبك؟! وتبتعد عن الكلام المبطن الذي يخفي وراءه الكثير من الإتهام والشك في شخص إبراهيم. نحن لا نرضى بذلك بحال . حاول أن تنسى ما في نفسك من أشياء من أجل مصلحة بلدتنا .

الشيخ علي :

- أنت أيضا تتهمني يا شيخ سعيد ؟!

الشيخ سعيد :

- أنا لا أتهمك . كلامك يفضح عن مكنوناته . ولكننا لسنا في موضوع المحاسبة والعتاب . إلعنوا الشيطان يا جماعة - **تتعوذ الجماعة بصوت واحد** - وهيا نتصافى ، وندع إبراهيم يكمل ما يريد قوله وجمعنا لأجله . وأنت يا شيخ علي لا تغضب من قولنا فالله من وراء القصد .

إبراهيم :

- هيا نتعاهد أولا على التسامح وتنقية القلوب ، تم

نتعاهد على كتمان السر ولا نظهره إلا لمن نعرف أننا سنحتاجه في إنجاح خطتنا وأولهم حارس القصر .

الشيخ سعيد :

- هيا يا جماعة ضعوا أيديكم فوق يدي هيا . هيا ..

يمدُّ الشيخ سعيد يده اليمني وتمتد أيادي الجماعة لتضع أيمانهم على يمناه. ويقسمون على التسامح وكتمان السر ...

موال وموسيقى معبرة ـ ثم إظلام .

الستارة

الفصـــل الثالث

المشهد الأول

الستـارة

شخص يحمل طبلاً كبيراً ، يتقدم أمام الستارة المغلقة - على الستارة لوحة جدارية لواجهة القصر .
الشخص (حارس القصر) يدق على الطبل خمسة دقات إيقاعية ، بين الإيقاع والآخر فاصل زمني قصير . الشخص - البرّاح - ينادي بأعلى صوته : - (.. يا أهل البلدة ، يا أهالي كاباو ، يأهل البلدة ، يا أهالي كاباو - رجال ونساء وأطفال ، المطلوب حضوركم أمام القصر بعد صلاة العصر إلى الاجتماع لأمر هام وخطير ، وبالله عليكم غير مرغوب التخلف والغياب ، ويرحم ولديكم الحاضر يعلم الغائب ، الأسرع ، الأسرع يناله الثواب أن شاء الله يا أهل البلدة .. يا أهالي كاباو ..) .. ويستمر البرّاح - الشخص للحظات في براحه وهو يدور أمام الستارة ، ثم يتجه خارجاً من المسرح .. يختفي الشخص وصوت بَرَاحِه يُسْمَع في المسرح ويتلاشى تدريجيا . تدريجيا .. يستمر إيقاع الطبل مع مؤثرات موسيقية معبرة . تختفي اللوحة الجدارية وإيقاع الطبل ولا تبقى إلا الموسيقى المعبرة لبرهة ثم صمت وإظلام ..
تنفتح الستارة، الواجهة الأمامية للقصر تملأ الجدار الخلفي للمسرح .. منظر عام للبلدة القديمة - تتناثر بيوتها على تضاريس الجبل بتدرجاته تظهر على جانبي المسرح، والمساحة أمام واجهة القصر - وسط المسرح - خالية. أصوات إيقاع الطبل " خماسية الإيقاع "، مع مؤثرات صوتية وموسيقية . ويبدأ الأهالي في التجمع - فرادى وجماعات. تجرى فيما بينهم أحاديث جانبية، حول الاجتماع والتساؤل عن سببه والتكهنات بالخصوص ومن الذي دعا إليه ؟ تستمر المؤثرات الصوتية والموسيقية والإيقاعية وتتداخل بين الحين والآخر مع أحاديث الأهالي الجانبية .

يظهر الشيخ سعيد ومعه رمضان وجمعة والفقيه مسعود والشيخ أمحمد . الأخيران كانا قد تخلفا عن الاجتماع الأول - يتكتل الأهالي حولهم ، وهم يتسألون عن سبب الاجتماع وغيرها من الأسئلة والجماعة تنفي علمها بالاجتماع أو أي علاقة لها به . تتنحى الجماعة جانبا ويبدأ بينهم حوار هامس .

الفقيه امحمد:

- هل أفهمتموه ما ينبغي أن يقوله ويقوم به ؟

رمضان :

- تمام الإفهام ، لا تخشوا شيئاً إن شاء الله .

جمعة :

- أنا لا اشك مطلقا في مقدرته، وقدرته على الوصول بنا إلى حيث نريد ، بإذن الله .

الشيخ سعيد :

- أرجو أن لا يرتبك وينسى ما هو مطلوب منه .

جمعة :

- إن شاء الله لن يكون إلا خيرا ، فخميس ذكي ويمتلك ذاكرة حديدية ومتعود على مواجهة الأهالي ومسامرتهم .

رمضان :

- قمنا بتلقينه وأعاد علينا ما لقناه إياه مراراً وبمعية شيخ القصر (ضاحكا) ، اقصد جمعة في دور شيخ القصر ؛

الشيخ سعيد :

- وأنت يا جمعة هل جاهز للقيام بدور الولي شيخ القصر؟

جمعة :

- بالطبع يا شيخ القصر ، أقصد يا شيخ سعيد (ضاحكا) ،فما إن يراني الناس وينشغلون بالحارس أتسلل إلى دار الحارس،أرتدي الثياب التي جهزناها لذلك الغرض وخبأتها هناك ، لأصير شيخا جليلا ، مهيبا ، كما ينبغي لولينا وشيخ قصرنا أن يكون ؛

الفقيه مسعود :

- لقد شاهدناه البارحة أنا ورمضان وهو يرتديها ، ويتصنّع دور شيخ القصر ـ ياله من ممثل بارع ـ ولولا أننا نعرفه ونعرف اللعبة لكنا صدقناه ، إن طوله الفارع وجسده الضخم ، جعلاه حقا مهيبا ، جليلا ،

الشيخ أمحمد :

- أخشى أن تتكشف اللعبة، فتنقلب علينا الآية .

الفقيه مسعود

- ها . ها . ها الشيخ أمحمد كعادته دائما يحسبها بالمعكوس ، ويخشى من نسمة الهواء أن تصير عاصفة فيتقيها ، إنه ينظر للأشياء من الخلف على ما يبدو..

تضحك الجماعة

الشيخ سعيد

- ها . ها. ولكن الحيطة واجبة يا جماعة .

رمضان

- لاتخشى يا شيخ أمحمد . إن شاء الله لن يكون إلا خيرًا .

الشيخ أمحمد :

- ربنا يستر . ربنا يستر . والله يسامحك يا فقيه مسعود .

يخرج خميس . حارس القصر . تسلّط عليه بؤرة ضوء . يصمت الأهالي. مؤثرات موسيقية مناسبة للموقف . يتحرك خميس وتتبعه بؤرة الضوء وعيون الأهالي . ثيابه وهيئته معبران عن شخصه ووظيفته . يتحرك داخل المسرح (وسط الساحة) بشكل ينم على أن أمرا ما هام وخطير يريد إظهاره . بطريقة تستدعي الضحك أحيانا . يرتقى سدة أمام باب القصر، الجميع تحت ناظريه يلتفت إليه الأهالي بعيون شاخصة، يتأمل الجميع ،يتفحص نظراتهم ووجوههم لكأنه يبحث عن شخص أو أشخاص بعد لحظات انتظار وصمت.

صوت 1 :

- ما به ينظر إلينا كالمتوه ؟! إيه أنت تكلم !

صوت 2 :

- هيا تكلم . لماذا دعوتنا إلى هنا ؟!

صوت 3 :

- لابد انه مشتاق ألينا فدعانا إليه ها . ها .

ها . ها . ها . ضحكات الأهالي تعلو المكان والتعليقات المتهكمة .

الفقيه مسعود :

- اصمتوا، ليس هذا وقت الضحك والتهكم، دعونا نعرف سبب دعوته لنا للاجتماع .. يصمت الجميع لبرهة.

أصوات :

- من الذي طلب منك دعوتنا ؟!

- ما هذا الاجتماع الذي دعوتنا إليه .؟!

- من طلب منك دق الطبل ؟!

إزدادت الصرخات مستفسرة . متسائلة وخميس يبحلق في الجميع كالمعتوه. عيناه تبحثان في المكان وتقلبان الوجوه ، تبسم عندما رأى الشيخ سعيد والجماعة ثم عاد إلى طبيعته .

الشيخ سعيد :

- هيا يا خميس حدثنا بما تريد قوله . لقد طال صمتك ، وبدأ القلق يتسرب إلى نفوسنا ..

صوت :

- والملل أيضا يا سي الشيخ .

يرفع خميس يديه . يصمت الجميع .

خميس :

- إسمعوا يا أهالي كاباو.. لم يطلب أحد مني دعوتكم إلى هذه الاجتماع. وما هو باجتماع . ولا يعلم أحد بما سأخبركم به ، حتى مجلس الأعيان.. ولكن .ولكن ..

توقف عن الحديث ، وعاد يبحلق في الأهالي .

صوت :

- ولكن ماذا ؟!

صوت :

- ما بك ؟ لكأن جن تلبسك ..!

يعلو بعض الصخب .. يشير بكلتا يديه ، حاثاً الجميع على الصمت ..

خميس:

- قبل أن أجيبكم وأقول لكم لماذا طلبتكم للاجتماع؟ أريدكم أن تصدّقوا ما سأقوله . **يصمت ينظر إلى الجميع . يتأملهم ..**

رمضان :

- سنصدقك ، فقط اخبرنا بالأمر ..

واصل نظراته للأهالي ، وتقاسيم وجهه تزيد من حيرتهم وتشد إنتباههم.

خميس:

- ما رأيكم فيَّ ؟! ما رأيك فيّ يا شيخ سعيد ؟ وأنت يا شيخ أمحمد ، ويا فقيه مسعود ويا جمعة ، يا ...

يتجه إلى بعض الأهالي مستفسرا عن رأيهم فيه والكل يزكيه ويثني عليه.

الشيخ أمحمد :

- نحن نصدقك هيا اخبرنا بما تريد قوله .

الجماعة :

- هيا . هيا يا خميس نحن نصدقك ...

صوت :

- اللهم طولك يا روح .

يرفع خميس يديه بطريقة إستعراضية ، يأمرهم بالصمت . ثم يبدأ في قص ما حدث بأسلوب ومؤثر . في هذه اللحظة يتسلل جمعة خلسة من بين الحاضرين إلى دار الحارس ، يعمل رمضان والفقيه مسعود بتغطية تسلله بطريقة غير ملحوظة للحاضرين ، خميس يلاحظ ذلك.

خميس :

- اسمعوا يا جماعة يا أهالي كاباو - كباراً

وصغاراً - نساءاً ورجالا ، هناك أمر حصل .. لا أدري أحلم هو أم علم .. أمر حاولت لثلاث ليال إخفاءه ولكنه هدّدني .. نعم هدّدني ..

يصمت ويتصنّع الخوف والبكاء وإفتعال حركات تزيد من حيرة الأهالي.

صوت :

- لا حول ولا قوة إلا بالله .. تكلم يا رجل من الذي هددك ؟!

صوت

- أي أمر هذا ؟! لقد أرعبتنا .. من هو الذي هددك؟! ولماذا يهددك؟!

خميس :

- هو . هو من هددني ..

أ صوات :

- من ؟ قل لنا من ؟!
- هل هناك ثأر لأحد عندك ؟!
- تكلم .. تكلم ..

أصوات وصخب

خميس :

- سأتكلم . سأتكلم .. أنه .. أنه - **يستمر في إفتعال الحركات الموحية بجلال الموقف** - سأتكلم وأخبركم وعليكم أن تقرروا ما أنتم فاعلون . فإذا نفدتم ما يريد .. نعم ما يريد هو . هو .. فأنا باق كمهدكم بي ، حارس لهذا القصر - قصريَ

العظيم. إما إذا أبيتم أن تصدقوني ورفضتم تنفيذ ما يريده منكم . نعم ما يريده منكم هو ولست أنا .. فإنني سأعتزل . سأترك عملي وعليكم أن تبحثوا عن أحد غيري يحرس أشيائكم وأموالكم ، ولا أظن أنكم واجدوه - لأنه لن يترك حارسا أخر سواه إذا لم تنفذوا أوامره ..

عمت موجة من الهرج والصرخات بين الأهالي مستفسرة ، مستغربة ، حائرة .

صوت :

- من هذا الذي يريد أو لا يريد ؟!

صوت :

- حدثنا يا رجل حديثاً نفهمه ، كفانا طلاسماً وأحاجي.

رمضان :

- هيا يا خميس أخبرنا ماذا رأيت ومن هو هذا الذي يريد وماذا يريد ؟! أخبرنا ، أخبرنا ولا تتردد ، فنحن نصدقك ، ولن نخذلك ؟ فأنت حارس قصرنا الأمين المؤتمن ، ولن نجد شخصا بمثل كفاءتك وحبك لعملك وللقصر .

أصوات

- هيا . هيا أخبرنا ..

تتعال الأصوات من جديد . يرفع خميس يديه يعم الصمت

خميس :

- إنه . إنه . إنه ..

أصوات :

- من . من .. هيا أخبرنا ؟!!! من . من ؟!

خميس :

- إ.إ.إنـ.إنـ نـ نـه .. ششـشيخ . شـيخ القـصر .نعـم . نعـم. هكـذا قـال لـي .. شـيخ القـصر .. تـستور يـا سيدي الشيخ ..

أصوات :

- شيخ القصر ، شيخ القصر !!

في تعجب واستغراب واضحين . ضجة تعلو المكان .. مـع مـؤثرات ضـوئية وصـوتية .. ثـم .. صـمت ... وموسـيقي هـادئـة معبرة .. يتابع بعدها خميس بشكل درامي مؤثر : .

خميس :

- بعـد صـلاة فجـر يـوم الجمعـة الماضية ، إستلقيت علـيٍ فراشي داخل حجرتي المعهودة والمعروفة لديكم جميعـا وسط هذا القصر ، و لا أدري هل نمت أم فيما يشبه النوم ، حين . حين . خرج .. هو ..نعم هو..

موسيقي معبرة خافته ؛ في هذه اللحظة يبدأ الإظلام التدريجي للمسرح، حتى الإظلام التام . بعد حين تعود إضاءة زرقاء خافتة ؛ يظهر خميس وهو راقد على فراشة ؛ وبؤرة ضوء خافتـه مركـزة علـى شخص يرتـدي ملابس بيضاء بالكامل ويتعمم بعمامة بيضاء – ذو لحية طويلة بيضاء ؛ يتوكأ على عكاز طويل . يظهر الشخص من إحدى الجوانب يتجه ناحيـة السرير ويقف على مسافة منه . قبالة حارس القصر .

ينتفض الأهالي وتحدث بينهم جلبة ، يتراجعون إلى الوراء في ذهـول وخوف ، وهم على يقين بأنهم يشاهدون رؤيا الحارس ماثلة أمامهم .

الشخص :

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حارس القصر :

- وع . وع . وعليكم اس . اس . س . السلام ..من أنت ؟! إنس أم جن ؟! أ.أ.أ.أأنت تع..تع..تعرفني ؟!

الشخص :

- هدي من روعك يا هذا. أتخاف وأنت حارس للقصر؟!!

حارس القصر :

- لا يزال في جزعه وتمتماته .

الشخص:

- حارس قصري جبان ، رعديد . لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم يقول صارخاً

- إيه . أنت .. إسمعني أيها الحارس..! قلت لك اسمع ، كفاك جبنا وجزعا .. فما أنا إلا عبد من عباد الله جاء يطلب حقه .

حراس القصر :

- ح ..ح .. حقه ..

الشخص - صارخا - :

- إذا لم تعد إلي صوابك سأغيّر طريقتي معك ، سأتصرف بأسلوب قد لا يروق لي ولك .. ألا تريد أن تفهم وتعرف ما أبتغي منك ومن أهل البلدة ..

يهمّ الشخص بالاقتراب من خِميس ، الذي جزع أيما جزع ، إنتفض من فراشه وهرول مبتعدا وهو يقول بجزع وإرتعاش .

حارس القصر:

- تستور . تستور يا عبد من عباد الله أبقِى بعيداً عني ، عدت إلى صوابي ورشدي حسنا ، حسنا إني أسمعك ، أفهمك ، فأنت عبد من عباد الله الصالحين .

الشخص:

يتوقف في مكانه ويأخذ بعد حين أثناء الحديث في الحركة في أرجاء المسرح دون الاقتراب من خميس .

- قلت لك أطلب حقي .

حارس القصر:

يتصنع الثباتِ ويغالب نفسه على ذلك .

- تطلب حقا ! وأي حق هذا الذي تريده مني ؟ أنا أفهمك . لا . لا . أقصد لا أفهمك .. **ويتمتم بصوت خافت :** لابد أن هذه دعوات أمي عليّ ..سامحيني يا أماه .. **وغيره من الكلام .**

الشخص :

- اسمعني .. هذه الدار داري .

حارس القصر :

- دار الحارس دارك ؟!

الشخص :

- نعم دار الحارس هي داري ، وهذا القصر أنا حارسه الأول .

حارس القصر :

- دارك .. حارسه الأول فهمت . لا . لا لم أفهم ثم من أنت ؟! أرجوك أعذرني.. فهمني.

الشخص :

- أتيت إلى هذه البلدة من بلاد بعيدة .. أعجبتني البلدة وأهلها، أنخت راحلتي وأقمت فيها .. تنسكت وزهدت عن الدينا. هجرتها وما فيها بروحي وجوارحي وأقمت على طاعة الله سبحانه.. اخترت كهفا كان في قمة الجبل، كان هناك - **يشير بيده إلى الجهة التي كان فيها الكهف** - قبالة الوادي .. قام الأهالي بعد حين ببناء دار لي على هذه القمة، كان مكانها هذه الدار، هذه الدار هي داري، صارت سكني وصومعتي، حتى وافتني المنية، كنت لا أغادرها إلا فيما نذر وعند الضرورة. أحبني الأهالي وأحببتهم في الله .. صرت محل ثقتهم وصارت داري وجهتهم ، ومحل تجمعهم . كانوا يدعونني بالرجل الصالح ، وكانوا يضعون أشيائهم ومدخراتهم عندي احفظها لهم كأمانات وخاصة في مواسم الربيع والصيف حين يغادر جل الأهالي إلى مواقع الحصاد وأماكن تواجد بساتينهم فلا يبقى إلا القليل تركوا عندي الغالي والرخيص تحت رعايتي وبعناية الله سبحانه ، وعندما كثرت الأمانات وضاقت داري بمتاعهم ابتنوا لي حجرة ثم أخرى ثم صارت

حجـرات ، عنـدها فكـروا في بنـاء هـذا القـصر ، وكانت تلك الحجـرات هـي اللبنـة الأولى والأسـاس لهذا القصر الذي نحن فيه الآن .

حارس القصر :

- تستور ، تسور أيها الرجل الصالح ما .. ما .. ماذا تريد مني

الشخص :

- هـذا القـصر جـزء مـني ، ومـن حيـاتي في الـدنيا الفانية . احرص أن تتقي الله فيها ، وتزود بالتقوى وعمل الخير فإنهما الـزاد الأبقى والـذي ستحمله معك إلى قبرك . مفهوم ..

يحاول الشخص الاقتراب من خميس الذي ينتفض ويبتعد مهرولا محاولا الهروب منه وهو يصرخ :

حارس القصر :-

- مفهوم والله مفهوم وإسأل عني أهل البلدة ..

يتلعثم ويقول كلام كثير لإثبات صلاحه وتقواه ..

الشخص :

- حسناً . حسناً . فلولا صلاحك وطيبتك ما كان أهل البلدة يؤمنونكٍ على أشيائهم .. المهم أن هـذا القـصر غـدا جـزءا مـني وصـاروا ينـادونني بـشيخ القـصر ، وحتـى بعـد ممـاتي بقـت داري تتوسـط المكان .. أوصيت الأهـالي أن تكون مكانا لحـارس القـصر . وكـان لـي مـا أوصـيتهم وأحمـد لله علـى ذلـك والـشكر للأهـالي علـى وفـائهم .. **ـ يـصمت**

ويطول صمته وهو مطأطا رأسه وخميس ينظر إليه مشدوها ، مترقبا . ويعود فيقول بصوت مفعم:

- وها أنا اليوم أعود وقد إضطررت إلي ذلك .. كنت في الماضي أراقب من بعيد .. روحي كانت دائما ترفرف في المكان في أرجاء القصر وستظل كذلك إلى ما شاء الله .. ولكن .. يصمت يخر على ركبتيه

حارس القصر - مرتعشا متوترا :

- ولكن .. ماذا أيها الرجل الصالح ما الذي استجد من أحداث لتعود إلي ؟! أنا الحارس الأمين أحرس هذا القصر منذ زمن بعيد .. أقوم بواجبي نحوه .. أرجو ألا أكون قد أغضبتك في شيء؟

الشخص (شيخ القصر):

- كلا . كلا أنت نِعْم الحارس الأمين . نِعْم الحارس الأمين .. ولكن الذي جعلني أعود وأطالب بحقي هو شعوري بأن هذا القصر الجليل الذي أحببته وسكنت إليه روحي تتهدده العواصف والأنواء التي لا تقوى أنت أيها الحارس ولا أهل البلدة على صدّها وحماية قصري وموئلي ، فعدت إليكم لكون معكم لحمايته ، والوقوف في وجه تلك الأعاصير .

حارس القصر - بخوف - :

- أنا لم افهم شيئاً صدقني ، سوى أنك الرجل الصالح وشيخ القصر وهذه دارك كما قلت وأنا أصدقك . أنا أصدقك ..

شيخ القصر :

- لا يهم إن فهمت أو لم تفهم ، المهم أن تترك داري وتعود هذه الدار كما كانت دار الرجل الصالح .

حارس القصر :

- سأخرج من الآن سأتركها ، ليس لي حاجة بها .. أنها دارك نعم أصدقك صدقني إنني أصدقك ، لن أخذ شيئا منها .. ليس لي بها حاجة خذها صدقة بما فيها .. لا ، لا بل هبة مني لك .. لا . لا. بل هي لك . هي لك ..سامحني أيها الرجل الصالح . تستور . تستور ..

يهم حارس القصر بالخروج ، غير أن الرجل الصالح يقف في طريقة يصده ويصرخ في وجهه..

شيخ القصر :

- قف أيها الحارس الجبان . لم اطلب منك الخروج، إنما اطلب أن تعود داري - دار الرجل الصالح - دار شيخ القصر .

حارس القصر - بشيءٍ من التوتر والانفعال :

- أقسم أنني لم أفهم .. لم أفهم ولكن .. تستور يا شيخ القصر..

شيخ القصر:

- بلّغ ما قلته لك إلى أهالي البلدة ، فمنهم من سَيَفهم رسالتي ويعمل بها. أفهمت. بلغ ما قلته لك أمام جمع من الناس - رجال ونساء وأطفال وبحضور أعيان البلدة .. مفهوم

حارس القصر :

- مفهوم ..أظن أني مفهوم .. **يتمتم و يردد كلام غير واضح .**

شيخ القصر :

- إيه . إصغ إليّ . أمامك ثلاث أيام وإذا أخلفت فلا تلومن ألا نفسك ..

حارس القصر :

- يا ساتر يا رب ..وإذا أبو تصديقي وسخروا مني و ...

شيخ القصر :

- قل على قصري السلام وعلى البلدة سوء العاقبة ..

مؤثرات توحي بالموقف .

حارس القصر :

- يا لطيف ألطف

شيخ القصر :

- ألان سأتركك ..هل فهمت رسالتي ؟

حارس القصر :

- ولكن من أقول لهم ؟!

شيخ القصر :

- شيخ القصر .. يدعونني شيح القصر

حارس القصر :

- تستور . تستور يا شيخ القصر تستور .

تختفي البؤرة الضوئية ، ويتصاعد دخان ابيض مخلوط قليلا بدخان اخضر من مكان تواجد الشخص (شيخ القصر) ويبتدئ

إظلام المسرح التدريجي مع مؤثرات.
شيخ القصر - صوته يسمع يتردد في المسرح - :

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. يا حارس القصر لا تنسى رسالتي إلى أهل البلدة ، ونصيحتي ألا يهملوها ، فالخير كل الخير لهم وللبلدة إذا عملوا برسالتي ، وسوء العاقبة إذا هزؤوا منها وأهملوها .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا حارس القصر ويا قصري الجليل ويا بلدتي المباركة ...

حارس القصر أصابته حالة من الجذب والإنفعال . يصرخ تسلط عليه دائرة ضوئية .
حارس القصر :

- تستور يا شيخ القصر - تستور يا شيخ القصر . تستور . تستور وشيء لله ...

وأصوات دفوف إيقاعها على نفس حركة حارس القصر والصوت المدوي: تستور . تستور يا شيخ القصر تستور.. تزداد كثافة الدخان.. ثم إظلام وصمت .
تعود الإضاءة تدريجيا . خميس في مكانه في المسرح - قبل حكاية شيخ القصر - وقد أصابته حالة جذب ويصيح : تستور. تستور يا شيخ القصر تستور ..
الأهالي مشدوهون مما سمعوا ومنهم من أصابته حمى الجذب فأخذ يصيح : تستور . تستور يا شيخ القصر .. تعود أصوات الدفوف وبين الحين والأخر الصوت المدوي : تستور . تستور يا شيخ القصر تستور .. يعم المسرح حالة من الجذب ويتصاعد دخان البخور والجاوي مع بعض المؤثرات الصوتية والموسيقية . بعد دقائق:

يركض رمضان إلى حيث يقف خميس ويصرخ .

رمضان :

- ابشروا يا أهل البلدة ، ابشروا .. ظهور الرجل الصالح بشرى وخير لكم وللبلدة ، ظهور الرجل الصالح فأل حسن ومبارك إن شاء الله .

جمعة - بعد عودته من دور شيخ القصر - :

- فهمنا رسالة شيخ القصر .. أنك مبارك يا خميس. مبارك. أتاك شيخ القصر وبلغ لك رسالته إلينا، يا لك من محظوظ. يا أهل البلدة يجب علينا ألا نهمل رسالةٍ شيخ القصر، داره يجب أن نجعلها مزارا وضريحا نتذكر به الرجل الصالح الذي أتى للوقوف معنا ..

رمضان :

- نعم .. هيا نحتفل بظهور الرجل الصالح . مبارك أنت يا خميس لرؤيتك للولي الصالح شيخ القصر . تستور يا شيخ القصر . تستور ..

يصرخ بعض الأهالي :

- تستور . تستور ....

أصوات تعلو :

- هيا ننظف داره ..

- ونضيئها بالقناديل.ونبخرها بالبخور . تستور . تستور..

- تستور . تستور ...

جمعة و بعض الأهالي :

- يجب أن نذبح الذبائح ونعلن للملاء هذا الحديث الجلل

- هيا ، هيا نحتفل بظهور الرجل الصالح
- مني ثلاث خراف
- ومني أربعة
- ومني خروف ومرطتين كرموس
- ومني مرطة القمح ومرطتين شعير

يتسابق الأهالي بالتبرع لإقامة الحفل الموعود ، كل حسب قدرته وإمكانياته .. يعم الفرح والمرح والهرج والمرج وتعلو زغاريد النسوة.

- مبروك يا خميس .

يتدافع الأهالي لتهنئة خميس ويهنيء بعضهم البعض .

يمتلئ المسرح بأبخرة الجاوي والفاسوخ وتضاء القناديل وتدخل فرقة دفوف ويبتدئ مهرجان من التراتيل والأذكار .. تستور يا شيخ القصر تستور .. والصوت المدوي : تستور . تستور يا شيخ القصر تستور ..

الستارة ،(الستارة من النوع الشفاف)

يخرج أمام الستارة ، الشيخ سعيد ومعه الجماعة ، الشيخ أمحمد والفقيد مسعود ورمضان وجمعة .

الشيخ سعيد :

- يا جماعة أكاد أصدق أن شيخ القصر ظهر فعلاً .

الجماعة :

- ونحن كذلك .. إنه لأمر رائع .

رمضان :

- الفضل يعود إلى خميس ، لقد قام بدوره بشكل أذهلنا جميعا ونكاد نصدق أن شيخ القصر ظهر فعلا ، لولا يقيننا بأننا نحن من دبر الأمر.

الجماعة :

- ها ، ها ، ها - تضحك - .

الفقيه مسعود :

- أجزم أن خميس نفسه صدق حكاية شيخ القصر هذه.

الجماعة :

- ها ،ها ، ها (تضحك)

الشيخ سعيد :

- الحمد لله على نجاح خطتنا وصار لنا ولياً صالحاً يحمي قصرنا .

الفقيه مسعود:

- إرتحت يا شيخ أمحمد ؟

الشيخ أمحمد:

- الحمد لله . وارجوا أن يكون إبراهيم والشيخ علي قد وفقا في مهمتهما ، ونجحا في إقناع أعيان البلدات المجاورة بالتضامن معنا وجمع المال اللازم ليكون جاهزا عند اللزوم .

الجماعة :

- نرجو ذلك .

الشيخ سعيد :

- لقد فاتهما هذا الموقف الذي لا يُنْسَى ، ولكن عزاؤهما أنهما ذهبا في مهمة جليلة ندعو الله أن يوفقهما فيها.

الجماعة :

- أمين .

جمعة :

- هيا يا جماعة نشارك الأهالي الاحتفال بظهور شيخ القصر . هيا .

الجماعة :

- هيا ، هيا .... ويدخلون جميعاً إلى حيث الأهالي والإحتفال .

ترفع الستارة الشفافة .

تستمر أصوات الدفوف والابتهالات وبهجت الأهالي بظهور شيخ القصر لبرهة .. وبين الفينة والفينة الصوت المدوي : تستور . تستور يا شيخ القصر تستور .. ثم تغلق الستارة وبعد حين يسكن المسرح ويعم الهدوء .

الستارة .

الفصـــل الثالث

المشهد الثاني

السـتارة

المكان : بيت الشيخ سعيد . بنفس هيئته السابقة . .
الأشخاص : الشيخ سعيد ، إبراهيم ، الفقيه مسعود ، الشيخ على ، الشيخ أمحمد ورمضان
يجلسون في حلقة دائرية يتشاورون دون أن تُسْمَع أصواتهم .. صوت عبر المسرح لموال شعبي معبر.
صوت ينادى :

- يا شيخ سعيد . يا شيخ سعيد ...

دقُ على الباب ، يصمت الموال .

الشيخ سعيد

- ها قد وصل إبراهيم .

ينهض لفتح الباب . يغيب لبرهة ثم يعود وبصحبته إبراهيم . تنهض الجماعة لإستقباله وتحيته . وبعد حوار عادي والسؤال عن الحال والأحوال
الفقيه مسعود :

- لقد صحت الأنباء التي سمعت عنها وأخبرتنا بها يا إبراهيم .

الشيخ أمحمد

- وردتنا أنباء منذ أيام عن مباشرة الأتراك بهدم القصور ولكننا لم نتأكد بعد من صحتها ..

إبراهيم :

- أنها أنباء صحيحة . لقد قام القائمقام الجديد للجبل السيد أحمد بك أفندي بهدم القصور الواقعة في قضاء الزنتان ، مثل قصر أولاد تنزغن

وقصر أولاد بلقاسم وقصر سمر وغيرها وهم يتجهون لتخريب القصور الواقعة في قضاء الرجبان ثم قضاء الرحيبات والحرابة ..

رمضان :

- وقبلها هدموا قصور قضاء يفرن وفساطو وككلة والخلائفة

إبراهيم :

- إنهم يتحججون بأن عدم إتمام عملية هدم القصور أدى إلى عصيان العربان هكذا يقولون ، وهم فوق ذلك يعملون على مصادرة الأسلحة الموجودة لدى السكان ..

الشيخ سعيد :

- إذا علينا أن نتحرك بسرعة . لقد آن الأوان أن ننفذ الخطة التي أشار بها علينا إبراهيم ..

إبراهيم :

- نعم هذا أوانها ..

الشيخ أمحمد :

- أرجو أن يوفقنا الله وننجح .

إبراهيم :

- إن شاء الله .إن شاء الله .. وهل المال جاهز حسب الاتفاق ؟

الشيخ سعيد :

- نعم ، نعم وفوق ما كنا قد قدرناه .

إبراهيم :

- الحمد لله .

الشيخ سعيد : -

- ولقد أرسلنا جمعة مع بعض الأشخاص لإبلاغ أعيان المناطق المجاورة - التي وافقتنا وتضامنت معنا - بالحضور ومعهم المال الذي جمعوه بغرض الإجتماع والتشاور . ونتوقع حضورهم بين الفينة والأخرى.

الشيخ علي :

- ومن سيتولى مهمة حمل المال وتقديمه إلى أحمد بك أفندي ؟

الشيخ أمحمد :

- إنه لأمر صعب ومهمة خطيرة .. وأنني أخشى أن يرفضها ويعتبرها رشوة فيصبُ جام غضبه على رُسلِنَا وبلدتنا وكافة المناطق .

الفقيه مسعود :

- ها قد عدت يا شيخ أمحمد إلى النظر إلى الأمور من الخلف .. دعنا من تشاؤمك ، واتركنا ندبر وندير الأمور كما خططنا لها .

الشيخ علي - مازحا - :

- ما رأيكم يا جماعة أن نرسل الشيخ أمحمد على رأس الوفد إلى الضابط التركي ؟

الشيخ أمحمد . فزعا . :

- لا . لا يا جماعة لا تصغوا لكلامه . فأنا لا أجيد

التفاوض والإقناع ..

الجماعة :

- ها . ها . ها . - **تضحك** - .

الشيخ سعيد :

- إنه يمازحك . لقد دُبِّرَ الأمر وحسم منذ بدايته . إبراهيم من سيتولى المهمة ، وهو قد أعد لذلك كل التدابير .

إبراهيم :

- نعم . أرسلت من يمهد لنا الطريق . وهناك من سيساعدهم في ذلك وكل شيء بحسابه ..

الفقيه مسعود:

- أحسنت ،أحسنت يا إبراهيم ، وأنت أهل لها - **توافقه الجماعة**

الشيخ أمحمد :

- منذ البداية عندي إحساس بأن إبراهيم هو الشخص المناسب لذلك .

إبراهيم :

- أفضل أن يرافقني الفقيه مسعود وأحد أعيان المناطق الأخرى أو أثنين على الأكثر .

الشيخ سعيد :

- ما رأيك يا فقيه مسعود ؟

الفقيه مسعود :

- الرأي رأي إبراهيم .. هو القائد في هذه المهمة ، ونحن تحت أوامره . أنا جاهز يا إبراهيم منذ اللحظة .

إبراهيم :

- بارك الله فيك يا فقيه مسعود ، لم يخب ظني فيك

الجماعة توافقه الرأي كل حسب هواه

الشيخ سعيد :

- وماذا تنوي أن تفعل ؟

إبراهيم :

- أفضل أن ننطلق من هنا عند دخول الجيش العثماني إلى قضاء الحرابة وتحديداً في بلدة طمزين وبعد بدءِ تحركهم إلى كاباو وفي أول معسكر يعسكرون فيه قبالة البلدة سنقوم بتنفيذ خطتنا .

رمضان :

- ألا تظن أن الوقت عندئذ يكون متأخراً لمثل هذا الأمر؟

إبراهيم:

- بلى . بلى .. ولكن الجزء الأول للخطة نحن الآن قائمون على تنفيذه فعليا ..

الجماعة:

- كيف ؟!

إبراهيم :

- ألم أقل لكم أنني قد أرسلت من يمهد لنا الطريق؟

الجماعة:

- بلى . بلى ..

إبراهيم :

- هذا هو الجزء الأول للخطة . إنهم سيعملون مع

شخص تركي قريب من أحمد أفندي وساعده الأيمن والذي تم استقطابه ورشوته ليعمل لصالحنا على توصيل تدبيرنا إلى أحمد أفندي. وقد عرفت أن هذا الشخص كثيرا ما قام بالتوسط في مثل هذه الأعمال للسيد أحمد بك، ولهذا لجأنا أليه فوافق بعد مساومات ومماكسات في الثمن الذي ينبغي دفعه له ولأحمد أفندي وللوالي .

في هذه اللحظة يتم إظلام المسرح تدريجيا وتسلط إضاءة زرقاء على جانب المسرح حيث يخرج شخص على هيئة ضابط تركي برتبة ملازم أول يلتفت ذات اليمين وذات الشمال ، يتجه إليه إبراهيم محييا ومرحبا :

ـ أهلا ملازم سليم أفندي أهلا . كيف تسير الأمور؟

ملازم سليم:

ـ تمام. كله تمام. احمد بك مافيش مشكل ، بس فيه فلوس كثير مافيش مشكل ؛

إبراهيم :

ـ نحن مستعدون للدفع ، فقط دعوا ما تبقى من قصورنا واتركونا نعيش في أمن وسلام ، فرؤساء القبائل والأعيان وكل الأهالي مستعدون للدفع وبما يرضيكم ، وانتم تعرفون أحوال البلد والجبل والناس ، فلا تبالغوا في الطلب ، ونحن مستعدون.

ينحني ملازم سليم على إبراهيم ويبدأن في المناقشة والتشاور ، ـ حديثهما لا يسمع ـ ثم :

إبراهيم :

ـ هذا كثير سيد سليم ، لأظن انه بمقدورنا على توفير كل هذا المبلغ ؛

م. سليم :

ـ هذا مش كثير ، الوالي فيه حصة ، احمد باشا فيه حصة ، احمد بك فيه حصة ، أنا فيه شوية حصة ، ولازم كله يدفع ، كله يرضى ، يرضى يسلم قصر يسلم أهالي ، يرحل جيش عصمالي ..

يبدأن في المناقشة والتشاور من جديد ثم :

م. سليم :

ـ اقل من هذا مش ممكن ، أنا يمكن ايقنع احمد بك.. اقل مش ممكن ايقنع ،

إبراهيم :

ـ حسنا ، حسنا، اتفقنا ، فقط أعطونا بعض الوقت نستطيع فيه توفير المبلغ ، أخّروا خروجكم لأسبوعين على الأقل ..

م.سليم :

ـ ما فيش مشكل ، فيه فلوس فيه موافقة على طلبات . ها.ها.ها.

يضحك إبراهيم مسايرة .

م. سليم :

ـ بس أيكون فيه فلوس زي ما اتفقنا إبراهيم ، فلوس كله ..

إبراهيم :

ـ سنكون عند عهدنا ، فقط كونوا انتم عند عهدكم ..

م. سليم :

ـ أوه ، إبراهيم ، مسلم يعرف عهد ، يحترم كلمة ..

إبراهيم :

ـ ومع هذا وحتى يطمئن الأهالي فإننا سندفع نصف المبلغ مع بداية الخطة ، والباقي سندفعه بعد انتهاء الخطة ، وتحديدا في اليوم التالي لبداية إنسحابكم ..

يبدأ سجال بين الملازم سليم وإبراهيم حول أسلوب الدفع بالنسبة للنصف الأخير من المبلغ ، وفي النهاية يتفقان وتسمع كلمة : اتفقنا ، اتفقنا ..

تخفت الإضاءة تدريجيا وينسحب الملازم سليم .. لتعود إضاءة المسرح إلى ما كانت عليه قبل دخول الضابط التركي .

يهلل الجميع مباركا الاتفاق الذي توصل إليه إبراهيم مع الوسيط التركي .

الشيخ علي :

– أحسنت أنها أهم خطوة خطوناها .

الشيخ أمحمد :

– لم أشك مطلقا في قدراتك يا إبراهيم على فعل ما لا يفعل .

الفقيه مسعود :

– وهل وافق أحمد أفندي على تدبيرنا ؟

إبراهيم :

– خلال يومين على الأكثر سيصلنا الرد من رُسُلِنَا . ولكنني لا أشك مطلقا في أن أحمد بك سيوافق وسيقبل عرضنا ..

الشيخ سعيد :

- وماذا سيقول للوالي ؟

إبراهيم :

- هذا سؤال جيد يا شيخ سعيد . هو ذات السؤال الذي سألنا إياه للوسيط التركي و فكرنا في الأمر سويا ووجدنا له الجواب الكافي الشافي إن شاء الله.

الجماعة :

- و ما هو ؟

إبراهيم :

- سيتحجج أحمد أفتدي بأن قضاء نالوت يقع في منطقة حدودية ، وأن هذه المناطق كثيرا ما تتعرض لغارات قبائل ورغمة والهمامة وأنه مضطر لترك قصور هذه المناطق مع سلاح سكانها ليقوم بالدفاع عن أنفسهم وأموالهم ضد تلك الغارات حتى يستقطب ود الأهالي ويخفف من ثورتهم وغضبهم .

رمضان :

- أنها والله حجة ذكية ومقنعة ، ولن يختلف عليها إثنان . أحسنتم . أحسنتم يا إبراهيم ..

الشيخ سعيد :

- ألان اطمئن قلبي وزال خوفي كثيراً من إحتمال الفشل.

الفقيه مسعود :

- حتى أنت يا شيخ سعيد !؟

رمضان :

- من منا لا يخشى الفشل في مثل هذه الأمور !؟

الفشل وارد فيها تماما كما النجاح ، وربما الفشل إحتماله أكبر ، ولكن الحمد لله يبدو أن الأمور ستمضي على خير ما يرام .

الجماعة :

- إن شاء الله . إن شاء الله .

إبراهيم :

- وإذا وفقنا الله ، سنكمل الجزء الثاني من الخطة ، ألا وهو ذهابنا لمقابلة أحمد بك في أول معسكر يعسكر فيه قبالة البلدة .

الشيخ علي :

- ومن قال أن أحمد بك هذا لن يغدر بنا، يأخذ مالنا ثم يهدم قصورنا ؟

إبراهيم :

- عند مقابلتنا له سندفع له نصف المبلغ وبعد تنفيذ خطتنا سندفع له النصف الأخر . هكذا اتفقنا .

الشيخ أمحمد :

- هذا أفضل شيءٍ فعلتموه .

الشيخ سعيد :

- إذاً لم يبقى لنا إلا تجهيز المال والاجتماع بأعيان المناطق المجاورة للاتفاق النهائي.

إبراهيم :

- سنضع نصف المال في جرابين وسنعرضه على أحمد بك كهدية جمعناها له ولأمير الجيش اللواء أحمد باشا قائد الجيش التركي وصاحب السلطة

الحقيقية . وأنت يا شيخ سعيد ستتولى عد الأموال وتجهيزها حسب الاتفاق مع الوسيط التركي.

الشيخ سعيد :

- أنا جاهز . فقط تصل الأموال التي جُمِعَتْ من المناطق المجاورة . أما الأموال التي جمعت من الأهالي فهي في حوزتي وإن شاء الله كل شيء سيتم على أكمل وجه .

الجماعة :

- إن شاء الله . أن شاء الله ..

رمضان :

- ببركة شيخ القصر .

إبراهيم :

- تستور ، تستور يا شيخ القصر .. ها ، ها ، ها

تضحك الجماعة وهم يستذكرون خميس وشيخ القصر

الشيخ علي : -

- والأن يا جماعة لم يتبقى إلا أن ندعو الله أن يوفقنا ويساعدنا في مهمتنا وينقذ قصرنا وقصور إخوتنا في المناطق المجاورة من التخريب

الجماعة :

- آمين

إبراهيم

- على فكرة يا جماعة - الوفد الذي أرسله أهالي الجبل إلى الوالي محمد أمين باشا في طرابلس -

هـذا الوفـد سـيعزز خطتنـا وخاصـة إذا وصـل في الوقت المناسب ، لأن ذلـك سيجعل مواقفـه الـوالي أسهل على عدم تهديم قصور قضاء نالوت ألا وهـي قصر كاباو ، وقصر نـالوت وقصر الحوامـد وقصر أولاد محمود وقصر المجابرة .

الشيخ أمحمد:

- أدعو الله في كل صلاة أن يسلم قصورنا من الهدم.

الشيخ سعيد :

- هيا نصلي لأجلها وندعو الله أن يحفظها هيا ، هيا..

تنهض الجماعة للصلاة من أجل القصور

مؤثرات صوتية موسيقية معبرة وإظلام تدريجي للمسرح

الستارة .

الفصـــل الثالث

المشهد الثالث

الستـارة

الستارة

(الستارة مغلقة)

أصوات وجلبة قوات على ظهور الخيل وبعض الخيول تجر مدفعية تقترب رويداً . رويداً.
(عبر الإذاعة مع إظهار بعض المناظر المعبرة عبر الشاشة)
تفتح الستارة الرئيسية . تظهر خلفها ستارة شبه شفافة (تبقى الستارة الثانية مغلقة) يظهر المسرح بإضاءة واضحة قليلا .. تظهر ظلال بعيدة للقصر على قمة الجبل وتحته جزء من المدنية القديمة تربض على تدرجات الجبل .
يستمر إقتراب الأصوات وجلبة سير قوات الخيّالة . وبين الفينة والفينة تسمع بعض الكلمات المعبرة عن الموقف - باللغة التركية مخلوطة باللغة العربية بلكنة أعجمية (على الطريقة العثمانية) - يتم تخفيف الإضاءة ببطء بما يوحي بوقت الأصيل .
تتوقف أصوات حركة الخيّالة والجنود وتستمر الجلبة وتظهر ظلال بعض القوات خلف الستارة شبه الشفافة - تقوم بأعمال قوات تصل إلى مكان مهمتها - أصوات حديث الأفراد والأوامر والإيمازات وغيره من الضجيج الموحي بعمل القوات .
أصوات :

- هيا ادفعوا المدفع الأول .. تمام . تمام . هذا هو موقعه .. الثاني . الثاني .
- ما رأيك يا سيدي في هذا الموقع ؟
- لا ، لا مش مزبوط .. هناك . نعم هناك .

تسمع حركة جر المدافع وصخب الجنود والخيول ..

- سيدي القائد أحمد أفندي كله تمام
- عفارم . عفارم .. مزبوط .. كويس . أحسنت ملازم كمال
- القصر في متناول أيدينا سيدي القائد ها . ها . ها.. بس أوامر حضرتكم والقصر كله يصبح حجر على حجر ها . ها . ها ....

ضحكات كثيرة تسمع وجلبة وصخب .

- هيا انصبوا الخيام واعدوا المكان لنقيم فيه .
- هيا . هيا ..
- ها . ها ..
- هواء جميل . منظر جميل . مكان جميل ..
- كله جميل سيدي ..

أحاديث وحركة أفراد وعمل ، دق أوتاد وجر وغيرها

بعد برهة تهدى الحركة والأصوات ثم يعم صمت - موسيقي معبرة

تفتح الستارة

أحمد بك مع مجموعة من مرؤوسيه أمام الخيمة يتسامرون - كل حديث الأتراك يدور بلكنة أعجمية على الطريقة العثمانية - .

أحد الجنود :

- سيدي أحمد أفندي

أحمد بك:

- نعم يا حارس

الجندي :

– فيه عربان يقولون إنهم أتون من كاباو يرغبون في مقابلة حضرتكم سيدي ..

احمد بك – هامسا :

– ملازم سليم وفد زي ما إتفقنا .

م. سليم :

– يبدو هكذا سيدي أحمد أفندي . سأستطلع الأمر .

يذهب ويعود . حديث يدور بين أحمد بك و الملازم سليم .

– نعم سيدي هذا إبراهيم ومعه ثلاثة أفراد من أهالي عربان ..

– فيه معاهم فلوس

– نعم سيدي كله تمام . كله تمام

– كله تمام . كله تمام ؛

– يدخل عربان ؛

تعود الستارة شبه الشفافة للإغلاق . موسيقى وأغنية معبرة توحي بالموقف . يزداد إظلام المسرح بما يوحي وقت الغروب .

تدخل جماعة من أربعة أشخاص بزي أهل المنطقة ، وتظهر طقوس الاستقبال غير الحار ، والحوار بشكل شبه كامل . دون صوت . .

فجأة يعلو صراخ أحد ما .. الموسيقى والأغنية المعبرة يستمران .

تفتح الستارة ، تصمت الموسيقى والأغنية بالتدريج حتى الصمت التام . أحمد أفندي يهب واقفا ويقف أتباعه ومجموعة من الأهالي إبراهيم والفقه مسعود واثنان من أعيان المناطق المجاورة . ويظهر أحمد بك غاضبا . صارخا ..

احمد بك :

- ما فيش سماح .. فيه أوامر أنا لازم ينفذ . يحطم قصر يعني يحطم قصر .. أوامر أمير جيش اللواء أحمد باشا لازم أنا ينفذ . انتم مخربون مارقون عن قانون عثماني ودولة عثماني وسلطان عثماني.. أنا لازم أدب كله .. بلغ بلد كله أوامر لازم ينفذ . ما فيه رحمة معاكم مفهوم إنتهت المقابلة.

الفقيه مسعود :

- ولكن يا سيادة أحمد أفندي أنت تعلم أن القصر هو كل شيء بالنسبة لنا ولبلدتنا ورمز لـ...

يقاطعه احمد بك بانفعال وتشنج :

احمد بك:

- أنا قلت إنتهت المقابلة يعنى انتهت خلاص. كله خلاص.

إبراهيم :

- هناك أمر لابد أن تعرفه أنت ومن معك يا احمد بك ، وهو أن للقصر شيخ وولي صالح ومبارك ومستجاب الدعاء سوف يحمى قصره ويدافع عنه . وها نحن ننبهكم لتكونوا على دراية من الأمر ، لأنه سيحطم جيشكم ، وينزل عليكم الله جام غضبه ببركة سيدنا شيخ القصر مستجاب الدعاء .. تستور يا شيخ القصر تستور **يردد معه أعضاء الوفد** .: تستور . تستور يا شيخ القصر تستور ..

احمد بك:

- ها . ها . ها . يسمع يا ضباط . يسمع يا جنود

يقول فيه ولي . ها . ها أنا مش يخاف ولي ولا مخربين . أن ينفذ أوامر وبس . فيه ولي ها . ها . ها .. فيه ولي . مهبول عربان ..

تضحك الجماعة التركية بشيء من الصخب ويعم بينهم الصخب والتعليقات .

م. سليم :

- لقد سمعت بذلك يا سيدي . يقولون انه ولي مستجاب الدعاء ..

احمد بك - يقاطعه - :

- أنت يخرف ملازم سليم . ما فيش حد أقوى من جيش عثماني تركي ها . ها . ها .

الحاضرون :

- ها . ها . ها ..

يضحكون بصخب وافتعال .

الفقيه مسعود :

- جئنا نحذركم فقط يا أحمد أفندي ، نحن في طاعة الدولة العليا ، والأفضل أن تقبلوا ولاءنا على المضي في عزمكم ، لأن ولي القصر لن يصمت على تهديم قصره ..

احمد بك :

- هيا . هيا اخرجوا عودوا إلى بلدتكم . أنا يمكن فيه أسر أنتم بتهمة عصيان دولة عليّا عصمالية .. هيا اخرجوا حالا . عربان جاهل . برا . برا .. يقول ولي قوي . ها . ها . ها ... أقوى من جيش عصمالي مش

ممكن . مش ممكن . ها . ها . ها - يتضاحك الضباط والجنود في شيء من الصخب -

احد الأعيان :

- سيدمركم شيخ قصرنا ، وولينا المبارك ، سيردّكم خائبين ، وستعلمون أي منقلب ستنقلبون ، ولكن بعد فوات الأوان ، إن لم ترتدّوا على أعقابكم ، وتحكموا عقولكم ، فلله رجال لن يتخلى عنهم عند الشدائد ..

يحدث حديث الرجل بعض التوتر في الحاضرين ، ويتظاهر احمد بك بالتأثر ليؤثر في الآخرين ، وهمهمات تصاعدت : ولي ، مبارك ..

احمد بك . بصوت متهدج . :

- أخرجوهم ، ارموهم بعيدا ، قبل أن أعطي أوامر بإطلاق النار ، هيا ، هيا ، عرب جاهل ، مغفل ..

تخرج الجماعة بالقوة ، ويستمر احمد بك في الصراخ لحين ، ثم يضحك ويتندر ويتسامر مع المحيطين به

إضاءة المسرح توحي بوقت متأخر من الليل - إظلام شبه كامل -

صوت :

. هيا يا جنود كله ينام، غداً فيه شغل كثير. هيا. هيا..

موال وموسيقى وأحيانا بعض المؤثرات الصوتية تناسب الوقت والمكان . ثم صمت و إظلام وتستمر المؤثرات الصوتية من حين لأخر (أصوات لبعض الطيور والحيوانات الليلية وغيرها) . بعد برهة إضاءة زرقاء خافتة . تظهر خيمة احمد بك كالظلال وحولها بعض الخيام لمعاونيه و بعض أفراد الحراسات ببنادقهم يتحركون حول الخيام ويسمع نخيط وشخير النائمين .

فجأة يعلو صراخ أحد النائمين :

ـ لا . لا اتركني . اتركني ، لن افعل . أعاهدك لن افعل . فقط إبتعد عني . لن افعل . سنرحل . سنرحل . سنرحل .

تزداد إضاءة المسرح قليل بالضوء الأزرق ، يظهر احمد بك وهو يصرخ ويلوح بيديه فزعاً :

ـ اتركني . أتركني ..

يهب رفاقه النائمون حوله وبعضهم يأتي من الخيام الأخرى ويزداد الصخب واللغط في المكان .

ضابط تركي :

ـ أحمد أفندي . سيدي أحمد بك . أحمد بك . استيقظ . إستيقظ ..

احمد بك ـ يستمر في صراخه وهو في حالة أشبه بالنائم ـ :

ـ سنرحل . سنرحل ..

م .سليم :

ـ أحمد أفندي استيقظ . أحمد أفندي استيقظ .

يلتفت إلي أحد الحاضرين يامره :

ـ أحضر قليلا من الماء بسرعة

أحمد بك يفيق من كابوسه ـ يرشونه بالماء ـ .

احمد بك:

ـ آآمم يا إلهي . ما هذا !؟ ما هذا .. !؟

يلتفت حوله

ـ لماذا تحيطون بي !؟

م.سليم :

- كنت تصرخ سيدي . لابد إنه كابوس .

احمد بك :

- نعم . نعم كابوس . كابوس ثقيل . ثقيل ..

أحد الضباط :

- كنت تقول كلاماً غريباً .

احمد بك :

- آآم .م . ماذا ؟! كلام غريب ؟!

م. سليم :

- نعم أحمد أفندي . تقول اتركني ، سنرحل . أو شيء من هذا القول

احمد بك :

- أنا رأيت حلم مزعج ، كابوس ، مش ممكن يكون حقيقة . أليس كذلك؟!

يلتفت إلى الحاضرين .

الحاضرون :

- بلى يا سيدي .

م . سليم :

- استعذ من الشيطان . سيذهب الكابوس يا سيدي . هيا .هيا عودوا إلى أماكنكم .. نم سيدي فالكابوس سينجلي إن شاء الله ..

احمد بك :

- مزبوط سليم. أنت مزبوط . سيذهب الكابوس سيذهب..

بعد حين .. يعود الجميع للنوم وتنطفي الأضواء ويستمر كل شيء كما كان قبل الحلم . صمت . إظلام و سكون مع بعض المؤثرات الصوتية كما الأولى ..وشخير النائمين.

بعد حين يعود صراخ احمد بك مجددا وهو يردد نفس العبارات السابقة وتهب الجماعة من جديد .

احمد بك :

- لا . لا هذا مش كابوس ، أنا يسمع صوت يقول أنا الولي الصالح أنا شيخ القصر. شيخ القصر ..

أحد الضباط :

- أنها أضغاث أحلام سيدي ..

احمد بك :

- لا . لا أنا يبدأ يخاف م. سليم .

م. سليم :

- نعم سيدي ..

احمد بك :

- أنت يقول فيه ولي صالح في القصر . انتم مش سمعتم عرب يقولون فيه ولي يحمي القصر ؟!

م سليم :

- نعم سيدي

احمد بك :

- هذا أنا شفت . جاء شيخ القصر يهدد . أنا شفت فيه شيخ القصر ..

الحاضرون :

- م . م. م ماذا تقول ؟!

أحد الضباط :

- كيف أنت رأيت الشيخ هذا !؟ احكي سيدي .

يبدأ أحمد بك في قص حلمه الكابوسي . يرافق القص مؤثرات صوتية وموسيقية وحركات مناسبة للموقف .

احمد بك :

- رأيت أنني كنت واقفاً جاهزاً وسط المدفعية نتأهب لدك القصر .. وفجأة وفى لحظة إستلام البلاغ بالجاهزية وعندما هممت بإعطاء الأمر بالإطلاق النار رأيت بهرة قوية تنطلق من قصر ، نعم من قصر باتجاهنا تدك المدفعية ووجدت نفسي وقد لفني ثعبان كبير . كبير . يا الهي "

يبدأ الحاضرون بالارتعاد والملازم سليم يزيد في بث الرعب فيهم بحركاته وتعليقاته ، يستمر أحمد بك في قص حلمه :

- ثعبان كبير . كبير. كبير ، ورأسه بين عيني ويصدر فحيحا قويا مرعبا : فح . فح . فح ، ثم سمعت صوتا أتيا من مكان ما ، ربما من جهة قصر يقول لي :

في هذا اللحظة يتم تركيب الصوت بحيث يكون صوت شيخ القصر مع بعض المؤثرات - (هيا اترك قصري وارحل لا تظلم نفسك وجيشك ولا تحاول فأنا لا اعرف الهزل .. فإذا حاولت تدمير قصري دمرتك أنت وجيشك هكذا ..) مؤثرات صوتية و تلاعب بالأضواء بما يعطي للحدث قيمته .. يرتعش احمد بك ويواصل حديثه :

- .. لحظتها تنقض عاصفة أخرى تدمر ما تبقى من جيشي ولم اعد اسمع إلا صراخكم واستغاثتكم وصوت يقول : (ارحل ، ارحل) - أصوات وأصداء - .عندها

أبـدء بالـصراخ ويـأتيـني الـصوت صـوت شـيخ القـصر:
ارحل أنت ورجالك وخيلك . أمامـك حتـى مساء الغد..
لا تحـاول أن تجـرب أو تختـبر قـدراتي فلـن أرحمكـم .
لن أرحمكم فأنا شيخ القصر وحامي حماه . أنـا الـولي
الـصالح . مـستجاب الـدعاء . قـد أعـذر مـن انـذر .
(إرحـل . إرحـل ..) يختفـي الـصوت أظـل أصـرخ .
أصــرخ: لــن فعــل . ســأرحل . إتــركني. هكــذا حتــى
أيقظتموني . يا الهي كم هو رهيب . رهيب..

تستمر المؤثرات بين الحين والأخر بما يتناسب والموقف .

يرتعش الحاضرون ويتكومون على أنفسهم وقدٍ انعقدت ألسنتهم . يصهل أحد الخيول ، فيهب أحمد بك مذعورا وكذلك الحاضرون وهو يصرخ . سنرحل . سنرحل ويتبعه الحاضرون ويعودون عندما يدركون الأمر .

أحمد بك :

- أليس هذا أضغاث أحلام ؟!

أحد الضباط :

- ولكنه هذا مرتين ، مرتين .. أنها رسالة .

م . سليم :

- انه الولي الصالح الذي في القصر ..

أحد الحاضرين :

- انه صاحب كرمات ومشهود له ..

أحد الضباط :

- أنني بدأت أخاف . واصدق إنها رسالة . رسالة هل تسمعون

أحمد بك :

- نعم أنها رسالة . أخاف أن أجرب فينفذ تهديده .. مـا رأيكـم لا . لا . لا أسـتطيع أن أغـامر وأتحـداه ، فهـؤلاء الأوليـاء لا يعرفـون المـزاح .. كلامهـم مـسموع ولهم قدرات لا يمكن تصورها ..

م. سليم .

- كلام مزبوط سيدي . تستور ، تستور يا شيخ قصر ..

يتمتم الحاضرون :

- تستور . تستور ..

تعود الدفوف إلى الظهور بسرعة و الصوت المدوي : تستور . تستور يا شيخ القصر تستور.. ثم تختفي ..

أحمد بك :

- يجب أن نرحل . فأنا لا أحس بالأمان هنا منذ ألان ..

الضباط ثان :

- والأوامر . ماذا سأتقول للأمير اللواء أحمد باشا . هل سنقص عليه ما حدث ؟!

احمد بك :

- لا . لا يجب أن نتدبر الأمر بطريقة ما .

م . سليم :

- لدي فكرة .. نرسل إلى أمير الجيش اللواء أحمد باشا بأننا أنجزنا مهمتنا بالكامل .

احد الحاضرون :

- وما تبقي من القصور ؟

م . سليم :

- سنقول بأن تلك القصور لا تشكل خطراً على الدولة العثمانية وكذلك نقول له ما قاله الوفد حين أتاك بأننا أبقينا على قصورهم لأن مناطقهم حدودية وتتعرض لغارات من الحدود ..

احد الضباط :

- انه والله لكلام معقول وصائب ولا أظن انهم يرفضونه .

احمد بك :

- إذا هذا هو الرأي . سنفك المعسكر ونرحل بعيداً عن قصر وشيخ قصر ..

يرفع أحمد بك يديه إلى أعلى ورأسه بإتجاه القصر ويصرخ كأنه يخاطب شيخ القصر - يظهر شيخ القصر بهيئته الأولى باسما وسط هالة من الدخان الأبيض وبعض المؤثرات :

- يا شيخ القصر . يا ولي من أولياء الله الصالحين ، ها نحن فهمنا رسالتك وقررنا ترك قصرك ، فكن معي ومع جيشي . أرجو أن تكون قد وصلتك رسالتي ... تستور . تستور .

يتبعه الحاضرون في هستيرية : تستور. تستور يا شيخ القصر تستور . تستور.. والصوت المدوي : تستور . تستور يا شيخ القصر تستور . . .

شيخ القصر :

- مرحى . مرحى .. أبشر يا قصري و يا بلدتي المباركة ابشروا يا إخوتي بالنصر المؤزر من عند الله.

مؤثرات صوتية وضوئية وموسيقية ..

الستارة

صوت موال معبر وأصوات الدفوف تسمع من بعيد .

يستمر اقتراب أصوات الدفوف مقرونا بأغاني الأهالي وأهازيج الفرح .

تفتح الستارة بعد وقت قصير

بعد حين وتخرج فرقة الدفوف والأهالي وشيخ القصر وهم في حالة من الفرح والمرح والزغاريد لانتصارهم ... موسيقى ومواويل معبرة .

- تستور . تستور يا شيخ القصر . تستور ... والصوت المدوي : تستور . تستور يا شيخ القصر تستور .. .

يمتلئ المسرح بعرس حقيقي

إنتهـــت

تنفيـذ الطباعـة والتجهيزات الطباعية

دار قـــباء الحـديثـــة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

جمهورية مصر العربية

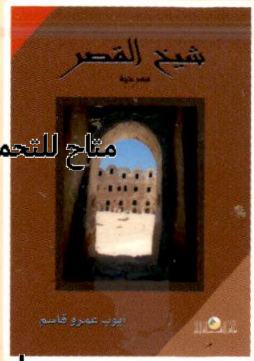
16 عمارات العبور - شارع صلاح سالم - مدينة نصر

تليفاكس 02/22621365 - تليفون 02/24025777

محمـــول 0123140315

E-mail : modern_qubaa@hotmail.com

http://WWW.qubaaalhadetha.com



▪ يقدّم مجلس الثقافة العام للقارئ الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة ، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً ، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًّا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام